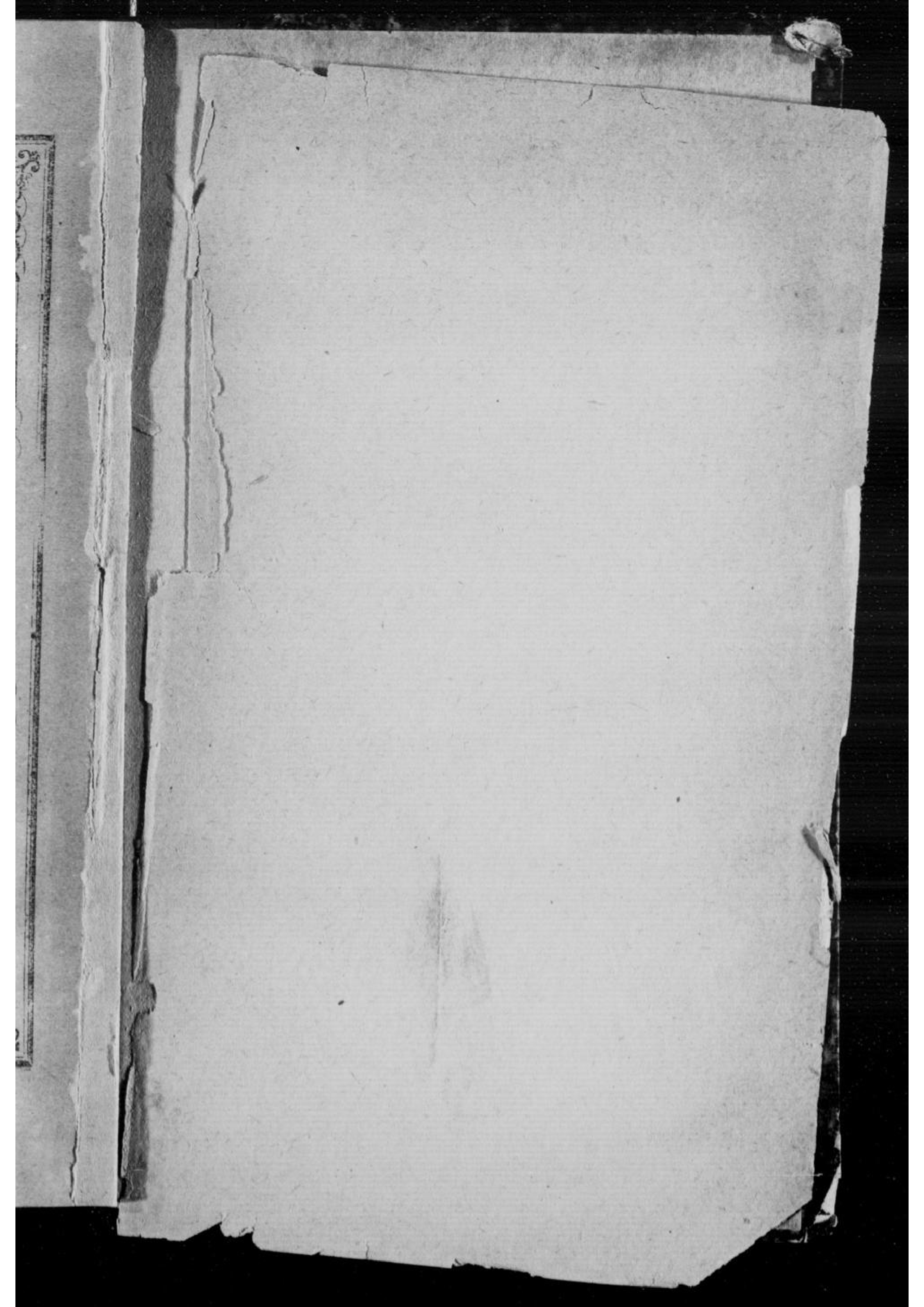
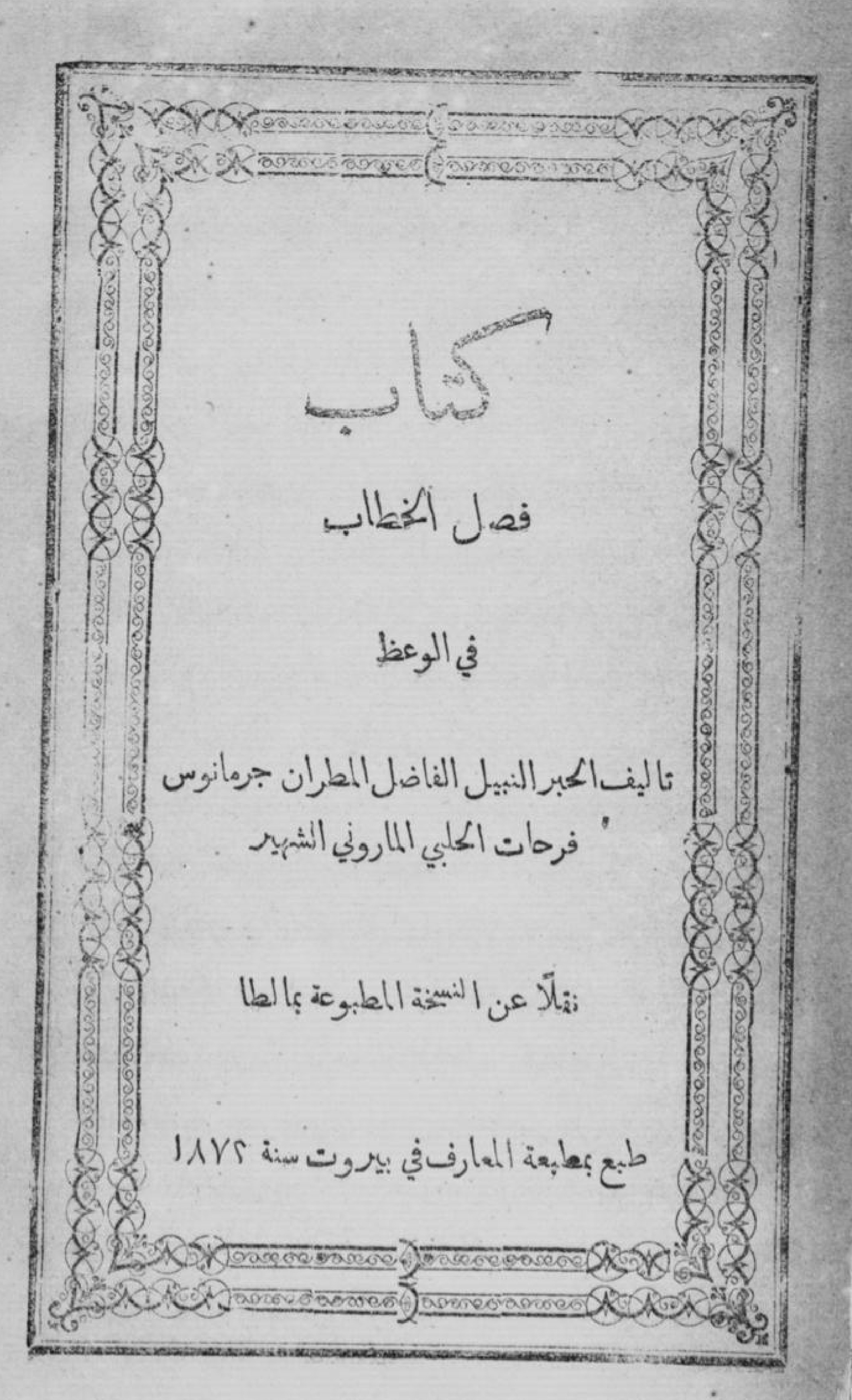




كتاب

فصل الخطاب

في الوعظ

تاليف الحبر النبيل الفاضل المطران جرمانوس
فرحات الحلبي الماروني الشهير

نقلاً عن النسخة المطبوعة بمالطا

طبع بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٨٧٢

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

الحمد لله الذي خاطبنا اولاً بانبيائهِ وحقق عندنا ثانياً بيان خطابهِ بتجسد ابنهِ الوارث ذاتاً الذي هو ضيا مجدهِ ومجد ضيائهِ وانذرنا ثالثاً بلسان رسلهِ ووعظ اصفيائهِ واوليائهِ وكل شي ينطق عنهُ في شان تخليص ادم وذريتهِ من اسر اثام عصيانهِ وانتقام خلف خطائهِ فنحمدهُ على ما اولانا من نعمائهِ وجاد علينا من عطائهِ حمداً عرياً من تناقض قضايا انقضائهِ حرياً بامضاء قضائهِ بشفاعة المشفع في صباحهِ ومسائهِ حيث اقدم لهُ فصل هذا الخطاب في ابتدائهِ وانتهائهِ هدية مسلمة لا رجوع ولا استرجاع في ادائهِ فانت حسبي يامولاي وربي فلا تهملن عبداً اتاك مزملاً بدمائهِ من كلوم حوبائهِ في دمائهِ فلا شفيع لهُ الاك يامن انت محجة رحمات الله والائهِ وولائهِ . اما بعد فيقول العبد والخادم الوني اسير علتهِ وعليل غلتهِ جبريل فرحات الراهب اللبناني اني عند معاشرتي للخطباء الذين جاريتهم في ميدان الخطاب وماريتهم في هذا الباب وشمت منهم بارق صناعة الوعظ ومض لي من قبلهم ضياوها واشرق عليَّ من مطالعهم نورها وسناوها فخضت فيها مع من خاض وانا ما بين انبساط وانقباض لكوني بهذه الصناعة الرائعة بعيد المثال

ضعيف المجال فوقفت حينئذٍ عند ساحلها مرتاعًا ونقفت عنها وقد
طارت نفسي شعاعًا عند ما رايت الاكثرين من ارباب الصناعة
قد غرقوا في لجتها وزاغوا عن محجتها اما من ضعف الاتهم او من
عدم صلاحهم وسوء نياتهم او من اشتغالاتهم بدنيوياتهم فباشروا
وظيفة الوعظ الشريفة وهم هكذا على غير الاستواء ولم يعتبروا
انها وظيفة رب عزيز قدير على عرش وعظٍ قد استوى فراموا مقابلتهُ
ومماثلتهُ ولم يدروا ان جدولهم صادف تيارًا وريحهم لاقت اعصارًا
فما استفاقوا الاوهم متزجون في زخارها ومتلججون في تيارها
فاستقوا منها عوض الما القراح ماء زعاقًا واقتنوا عوض الفلاح
والنجاح تلفًا ومحاقًا فاحجمت حينئذٍ لا جبنًا بل ضنا ولا حقيقة بل
ظنًا حتى اقتبست من اربابها ومن مدعيها ومن اصيلها ومن دعيها
ما حملني على ان انت في هذه الصناعة هذا المولف الذي سميتهُ
كتاب فصل الخطاب وجمعت اليهِ كلما يلزم الوعظ والواعظ من
التنبيهات والالات في هذه الصناعة وما يحتاج اليهِ في تجارة مثل
هذه البضاعة واستفدتهُ بالفعل من المجربات وفهمتهُ بالعمل من
المختبرات غير ملتفت الى توشيح اقلام العقل ولا راضٍ بترشيح كلام
النقل فهو مولف عملي لا عقلي وفعلي لا نقلي والذي حركني وزادني
غيرة في اتمام تاليف هذا المضمون الاسنى عدم وجود علم مثل هذا
الموضوع عند ابناء العرب في هذا المعنى وهو مما لا يستغنى عنهُ في
اللغة العربية في هذه الجهات الشرقية ورتبتهُ في مقدمة واربعة اقسام

وخاتمة ونحن نسال الله فيهِ حسن الخاتمة ليكون دستورًا ينقل عنهُ من قصد صناعة الوعظ لنفع التائبين وفائدة الطالبين الراغبين ويدعو لمولفهِ بالرحمة والرضوان امام الحاكم الديان امين

المقدمة

في ماهية الوعظ وضرورتهِ وفي شرف الواعظ وفيها ثلثة فصول

الفصل الاول

في ماهية الوعظ

الوعظ هو نصح الانسان الخاطي بما يسوقهُ الى التوبة والايمان واصلاح السيرة ومن ثم قال السيد المسيح لرسلهِ انطلقوا الى العالم كلهِ وبشروا بالانجيل في الخليقة كلها مر ١٦ : ١٥ اي سوقوا العالم الى التوبة بالتعليم والى اصلاح السيرة بالايمان والمراد بالانسان الخاطي هنا كل انسان فاللام فيهِ لاستغراق الجنس لانهُ ليس صالح الا الله الواحد لو ١٨ : ١٩ وهكذا يقول المرتل كل انسان كاذب مز ١١٦ : ١١ فمن ثم كان الوعظ لازمًا لكل انسان لازمًا للناقص ليكون كاملًا وللكامل ليثبت في كمالهِ ثم النصح انواع منهُ ما يسوق الى حسن المعاشرة والسلوك العالي ومنهُ ما يسوق الى التدرب في اكتساب الصنائع والمهن ومنهُ ما يسوق الى اكتساب العلوم والحكمة ومنهُ ما يسوق الى اكتساب الغنى بالمتاجرة فمثل هذا النصح لا يعدُّ وعظًا لانهُ لا يطابق الغاية التي جاء المسيح لاجلها وهي

تخليص النفوس بل الوعظ الحقيقي هو ما يسوق الى التوبة
والايمان واصلاح السيرة· وبهذا القيد خرجت انواع الوعظ
الباطل المقدم ذكرهُ ودخل الوعظ الحقيقي الذي غايتهُ تخليص
النفس بالتوبة والايمان واصلاح السيرة ومن اجلهِ تجسد ابن الله
وكابد ما كابدهُ من الالام والموت لا من اجل الوعظ الباطل
الذي يسوق الى اكتساب الامور العالمية ومن هنا قال السيد
لرسلهِ وعلموهم حفظ كلما اوصيتكم بو ‌مت ٢٨ : ٢٠ فما اكثر
المخدعين بهذا حيث يتوهمون الوعظ الباطل حقيقياً فينصحون
الغير ويعظونهم ليكونوا حكماء متدربين باشياء العالم ويذهلون
عن وعظ النفس وتخليصها فلا جرم انهم ينخدعون كما انخدع جنود
شاول فظنوا تمثال داود حقيقيًا ١ صم ١٩ : ١٦ فاهذا لم يظفروا
بهِ ولا اولئك يظفرون بالوعظ الحقيقي الذي هو التوبة والايمان
واصلاح السيرة حقًا ان هذا الوعظ هو الحصاة البيضاء المكتوب
فيها اسم جديد لا يعرفهُ الاَّ من ياخذهُ رؤ ٢ : ١٧ فان سالت ما
هو اجبتك هو التوبة والايمان واصلاح السيرة وفيهِ المن المخفى اي
تخليص النفس ان يوحنا صاحب الجليان لما ابصر المسيح جائلاً بين
المنائر الذهبية وصفهُ باوصاف كثيرة منها انهُ كان لابساً ثوباً طويلاً وعيناهُ
كلهيب النار ورجلاهُ كالنحاس وصوتهُ صوت امواه كثيرة وسيف
ذو حدين يخرج من فيهِ ووجههُ يضي كالشمس رؤ ١ : ١٢ فهذه
هي صفات الوعظ الحقيقي الجائل ما بين المومنين المنائر الذهبية

المتنفسة اولاً ان يكون الوعظ ثوباً طويلاً ساتراً خطايا الانسان بالتوبة والايمان ثانياً ان تكون عيناهُ كالنار اي يكون وعظاً ناظراً الى النفس خارقاً فيها لينقي صداها حيث يقول لها ضعيني على قلبك كختم وفي ساعدك كخاتم نش ٨ : ٦ ثالثاً ان تكون رجلاهُ كالنحاس اي يكون مؤسساً على قاعدة الايمان القويم وسيرة الكمال المسيحي هكذا قال المسيح لتلاميذهِ اذهبوا وتلمذوا كل الامم وعلموهم حفظ جميع ما اوصيتكم بهِ مت ٢٨ : ١٩ رابعاً ان يكون صوتهُ صوت امواه كثيرة اي يكون قويا بحقايقهِ تروى منهُ النفوس الظامية الى الخلاص حيث يقول هلموا فاشتروا خمراً ولبناً بلا فضة ولا عوض اش ٥٥ : ١ خامساً ان يكون سيفاً ذا حدين اي يكون موثراً في تاديب النفس وآداب الجسد كقول الرسول ان كلمة الله حية فعالة احد من سيف ذى حدين تلج مفرق النفس والروح والمفاصل والمخ تميز الافكار والنيات عب ٤ : ١٢ سادساً ان يكون وجههُ مضيئاً كالشمس اي يكون وعظاً ظاهر الفائدة ينير العقول والبصائر فهذا هو الوعظ الحقيقي الواجب علينا ان نبحث عنهُ من هذه العلامات ونجني منهُ ثمرة التوبة والايمان واصلاح السيرة

الفصل الثاني

في ضرورة الوعظ

ان الله في البد خلق الانسان على صورتهِ ومثالهِ ليجعلهُ لهُ ابناً

وارثًا في ملكوتهِ الابدي فلما سقط الانسان من درجة هذه البنوة
بخطيتهِ وسلبت منهُ نعمة البنين لم يستجز الله من حبهِ لهُ ان يهملهُ
بل كما قال الرسول ارسل الله ابنهُ مصنوعًا من امراة تحت الناموس
ليشتري الذين تحت الناموس لنحوي نحن ذخيرة البنين غل ٤ : ٤
اي ان الله الاب من تفاقم محبتهِ لخلاص الانسان ارسل كلمتهُ متجسدًا
كفول البشير والكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا يو ١ : ١٤ ودخل تحت
دين الخطية التي لم تعرف الا من قبل الشريعة رو ٧ : ٧ ليشتري
الانسان ويفي عنهُ هذا الدين ويكون لهُ بهِ الفدا والخلاص من
الهلاك ويرد الينا ذخيرة البنين التي هي الوراثة الابدية في مجد الله
الاب الذي اختارنا اليها بنعمتهِ مجانًا اف ١ : ٧ ولهذا كان تخليص
النفس عند الله هو الغاية القصوى بل هو ضروري جدًا لكونهِ ثمن دم
ابن الله الذي كان غاية تجسدهِ ومجيئهِ وآلامهِ وموتهِ ومن اجل هذا الفداء
العجيب تقدم الله ببعث الاباء والانبياء ليكونوا مبشرين بهذا الخلاص
عند مجيئهِ فلما جاء ضامن ديننا وخلاصنا اي يسوع كلمة الله اضطرم
بغيرة هذا الخلاص اضطرامًا عظيمًا هذا حدهُ وهو انهُ خلص الانسان
بسفك دمهِ حبًا بهذا الانسان كما قال ما من حب اعظم من هذا ان
يبذل الانسان نفسهُ عن احبائهِ يو ١٥ : ١٣ ثم انهُ لم يقف عند هذا
فقط بل انهُ تعالى اقام لهُ وكلاء امناء في هذا الخلاص قبل صعودهِ
عنا الى السماء اي انهُ اختار لهُ رسلاً واعظين وسلمهم وظيفتهُ التي هي
تخليص النفس وبعث بهم الى افاق المسكونة قائلاً لهم امضوا الى

العالم اجمع وبشروا بالانجيل في الخليقة كلها مر ١٦ : ١٥ وكان هذا الانذار ضروريًا جدًا للخلاص لانهُ ان لم يكن الوعظ فمن اين الايمان والتوبة وان لم يكن الايمان والتوبة فمن اين الخلاص ولهذا يقول الرسول كيف يومنون بلا منادٍ وكيف ينادون بمن لم يسمعوا وكيف يسمعون ان لم يُرسَلوا رو ١٠ : ١٤ فالوعظ اذًا ضروري لاتمام مشيئة الله في تخليص الانفس ووظيفتهُ اشرف وظائف بيعة الله اولاً لان الله مارسها بذاتهِ ثانيًا لانها وظيفة اقيمت من الله نفسهِ بغير توسط ثالثًا لان مراد الله يتم بها وهو تخليص الانفس رابعًا لانها الواسطة الكبرى للخلاص فقد تقرر الان ان الوعظ هو الدرجة الرسولية التي هي اشرف الدرجات في الارض والسماء

الفصل الثالث

في شرف الواعظ

اعلم ان الواعظ انسان قائم في وظيفة المسيح الاله وغاية هذه الوظيفة تخليص النفوس المتوقف خلاصها على الوعظ والتعليم فمن ثم كان الواعظ الذي يعظ بكلام الله اولاً صوت الله وليس الواعظ هو المتكلم بل روح الله المتكلم فيهِ وهذا معلوم من قولهِ تعالى لستم انتم المتكلمين لكن روح ابيكم هو الذي يتكلم فيكم مت ١٠ : ٢٠ فالواعظ اذًا هو بوق الله يصرخ فيهِ على الناس لينتبهوا الى خلاصهم ومالي اقول بوق الله بل هو فم الله كقول النبي ان ميزت الجيد

من الردي كنت مثل فمي ار ١٥ : ١٩ فكما ان الفم يساعد الانسان
على النطق فكذلك الواعظ يساعد الله على تخليص الانفس ومن
ثم يقول الرسول نحن عاملون مع الله اكو ٣ : ٩ اي مساعدوه على
اتمام مراده . حقًّا انها لوظيفة شريفة رسولية فاز بها رسول شريف
وهو الواعظ قال القديس ديونيسيوس الاتيني لا يوجد فعل الهي
يفوق الافعال الالهية كلها مثل مساعدة الله على تخليص الانفس وهذه
المساعدة خاصة بالواعظ ففعلهُ اذًا يفوق كل فعل في بيعة الله
ثانيًا ان الواعظ امين المسيح ووكيلهُ في وظيفتهِ وهو القهرمان
المطلع على اسرار الخلاص كقولهِ تعالى لرسلهِ المبشرين الواعظين
لكم أُعطيت معرفة اسرار ملكوت السموات مت ١٣ : ١١ ومن شان
القهرمان والخازن ان يتصرف برزق سيدهِ في الامور اللازمة
بموجب السلطان الذي معهُ لانهُ خازن اسرار سيدهِ . هكذا يقول
الرسول فليحسبنا الانسان هكذا كاننا خدام المسيح وخزنة اسرارهِ
اكو ٤ : ١ فكما ان يوسف اقيم وكيلًا لفرعون لتوزيع القوت على
المصريين تك ٤١ : ٤١ كذلك الواعظ اقيم وكيلًا للمسيح في توزيع
القوت الروحي الذي هو كلام الله على المومنين وكما ان الروح
تفضل على الجسد كذلك يفضل هذا القوت على ذاك . قال القديس
يوحنا فم الذهب لن يوجد شي مرضٍ لله مثل الاجتهاد على تخليص
الانفس لان خلاص نفس واحدة اعظم من ان يتصدق باموال
اكثر من اموال سليمان . فما اصدق ما قالهُ معلم المسكونة لان النفس

ابدية والاموال زمنية واية مناسبة بين الابدي والزمني

ثالثًا ان شرف فعل الواعظ يفوق كل فعل في بيعة الله لان الوعظ هو الطريق الموصل الى اكتساب اسرار البيعة والى اكتساب الفضائل الالهية والادبية فلولا الوعظ لما كان المومن مومنًا ولا الرسول رسولاً ولا الشهيد شهيدًا ولا القديس قديسًا ولا الخاطي تائبًا ولا التائب متخلصًا وهذا ما عناهُ الرسول في رسالتهِ الى اهل رومية ص ١٠ عدد ١٣ الى ١٥ فان يكُ هذا شرف الوعظ فما ظنك في شرف الواعظ الذي هذه حرفتهُ ووظيفتهُ . ان الملوك تُحتَرم وتهاب لانهم يحمون البلاد من هجمات العدو ويومنون الرعايا وهذا الشرف الصادر لهم انما هو من وظيفتهم كذلك الواعظ فقد تجب لهُ الكرامة لانهُ واقف في وجه العدو الذي هو الشيطان ومؤمن المومنين من شر الخطية وغاية وظيفتهِ تخليصهم منها فهو اذًا شريف لان وظيفتهُ شريفة فلهذا تحق لهُ الكرامة لا من اجل شرف شخصهِ بل من اجل شرف وظيفتهِ . قال القديس غريغوريوس الكبير ان رد نفس واحدة الى التوبة اعجوبة اعظم من اقامة الموتى لان الاب السماوي ارسل ابنهُ الى خلاص العالم لا الى اقامة الاموات ومن هنا يخبرنا النبي عن شرف درجة الواعظين بقولهِ ان الذين يعلمون الكثيرين العدل يلمعون كالكواكب الى الابد دا ١٢ : ٣ اي ان الواعظ بمنزلة كوكب مضي ينير السايرين في ظلام الخطية فيهتدون فقد تقرر اذًا ان شرف الواعظ يفوق كل شرف في بيعة الله

القسم الاول

في شروط الوعظ وفيهِ اربعة فصول

الفصل الاول

في موضوع الوعظ

ان بعض المتقدمين من الواعظين كانوا يبنون مواعظهم على موضوعات مختلفة فكانوا يبتدئُون مثلاً في فضيلة المحبة ثم ينتقلون منها الى التواضع ثم الى الحسد وغيرهِ وهلمَّ جرًّا وقد استعمل السيد المسيح هذه الطريقة في بعض مواعظهِ مثل عظتهِ على الجبل وغيرها مت ٥: ١ والرسول تبع هذه الطريقة في اكثر رسائلهِ واما المتاخرون من الواعظين فقد عدلوا عن هذه الطريقة وبنوا مواعظهم على موضوع واحد من الابتداء حتى الانتهاء لاسباب . اولاً ليمكن ضبط صناعة الوعظ بالقواعد والقوانين لان تلك لا ضابط لها ثانيًا لان الموضوع اذا كان واحدًا كان تاثيرهُ في عقول السامعين اشد واثبت ألا ترى ان المطرقة اذا كررت الضرب بها في موضع واحد اثرت فيهِ ضرورة وكسرتهُ واذا خالفت في الضرب كان التاثير ضعيفًا ولا كسر فيهِ . ثالثًا لان السامعين يمتلئُون فهمًا من تقرير الموضوع الواحد فيكونون حينئذٍ متفهمين فيعملون بما يسمعون كقول الرسول كونوا فعلة الكلمة ولا تكونوا مستمعيها فقط يع ١: ٢٢ واما اذا كثرت الموضوعات في الموعظة فلا يمكن

استيعابها لان السامع بينما يكون مصغيًا الى حقيقة ذلك الموضوع ينتقل الواعظ الى غيرهِ فلا يكون السامع حينئذٍ مستفهمًا بل متفرجًا . رابعًا لان الواعظ يمكنهُ ان يتقن صناعتهُ في موضوع واحد اكثر من ان يكون مشتغلاً بكثرة الموضوعات لان الصانع اذا كان مقيدًا بمهنة واحدة يحسن اتقانها واذا مارس صنائع كثيرة فلا يتقن منها شيئًا . خامسًا لان العلوم الان كثرت والعقول اتسعت عما كان سابقًا فان لم يكن الواعظ متعمقًا في صناعتهِ شديد التقرير في معاني وعظهِ فلا يمكنهُ اقناع كل السامعين الذين يوجد فيهم كثيرون من الحكماء والعلماء واقناع الحكيم والراهب عسر جدًا لما استقر وتمكن في عقولهم من المعاني من مداومة الدرس والمطالعة والمذاكرة وهذا لا يمكن للواعظ الا اذا كان موضوع وعظهِ واحدًا فلهذا اتفق المتاخرون على هذه الطريقة متمسكين بقول الرسول امتحنوا الاشياء كلها وتمسكوا بافضلها ١ تس ٥ : ٢١ وبما راوا هذا الافضل تمسكوا بهِ وقد نرى السيد مارس هذه الطريقة ايضًا في مثل الزرع وغيرهِ والرسول في بعض مواضع من رسائلهِ

الفصل الثاني

في مدة الوعظ

يلزم مدة الوعظ ان تكون متوسطة بين الطول والقصر مقدارها ساعة لان الطول ممل والقصر مخل فقولنا الطول ممل اي ان

السامعين يملون من طولة الوعظ لا سيما اذا كان بغير صناعة بان
كان الواعظ غير مستكمل لالات وعظهِ واذا ضجروا بطلت
فائدة الوعظ عندهم وربما ينسون ما كانوا حفظوهُ عند تشوقهم اليهِ
لان العقل اذا ثبت منحصرًا من جهة التفكر والفهم انقبضت جهة
المخيلة فيعمى عن ان يعود يرى شيئًا فيفقد اللذة والرغبة اللازمة
في سماع الوعظ ولا خفي أن النفس تفتر من الانتظار والجسم يضعف
من عدم الحركة الاختيارية فيفوت المراد من سماع الوعظ الذي هو
تعليم التخلص من الرذيلة واكتساب الفضيلة . قالت الحكمة الالهية
انا سوداء وجميلة نش ١ : ٥ نعم يانفس انك لجميلة لسماعك كلام
الله لكن لماذا انتِ سوداء وهذا ينافي الجمال لانهم جعلوني حارسة
في الكروم وما حفظت كرمي اي انها اسودت من طول مقامها في
سماع الوعظ حتى تشوه جمالها من حرا لضجر فلهذا لم تحفظ كرم نفسها
اي تهذيب سيرتها فالماء اذا طال مكثهُ في موضعهِ انتن والمريض
اذا لازمتهُ بعاطاة المسهلات والضمادات قتلتهُ كذلك السامعون
اذا طال وقوفهم رجعوا بصفقة خاسرة فلهذا كانت الطريقة
الملوكية اي المتوسطة انسب في الوعظ * وقولنا القصر مخل اي اذا
اختصرت الوعظ في غير موضعهِ حدث منهُ الخلل في المعنى اي ان
السامعين لا يتمكنون من تتمة الفائدة كالارض العطشانة فانهُ
لا يرويها رشاش الماء قالت الحكمة الالهية كلوا يا احباءي واشربوا
يا اخوتي واسكروا من خمرة الوعظ لانكم عطاشٌ نش ٥ : ١ الا اذا

كان السامعون قليلين ام الزمان غير موات فالاختصار انسب لكن يشترط فيهِ ان تكون مادة الوعظ مناسبة للاختصار كما وعظ السيد السامرية يو٤ :٧ فانهُ تعالى لما راى المرأة وحدها والوقت غير مناسب للوعظ اختصر العبارة معها في مادة مختصرة فامنت بهِ يو٤ :٨

الفصل الثالث

في سهولة عبارات الوعظ

يلزم ان يكون الوعظ بالفاظ سهلة واضحة ظاهرة المعنى يفهمها الرجال والنساء والاطفال كما كان يفعل السيد رب الوعظ في وعظهِ الناس فانهُ كان يخاطبهم بالفاظ سهلة واضحة المعنى ويمثل لهم امثالاً يسهل عليهم فهمها مثل الزرع والنير والحقل والبقر والشجر وما يشبه ذلك من الامثال الدنية الظاهرة المعنى ومع هذا كلهِ ما كانوا يومنون كما قال لهم المخلص ان كنت قلت لكم الارضيات ولا تومنون فكيف اذا قلت لكم السماويات تصدقون يو٣ :١٢ هكذا الوعظ قد يكون سهلاً ويجهلهُ الكثير فكيف يفهمونهُ وهو صعب معقد ولهذا يقول الرسول انني حين اتيتكم لم ابشركم بسر الله بالحكمة اكو٢ :١ فالمفهوم من هذا كلهُ ان الله ورسولهُ ما وعظا الناس الا بالفاظ سهلة واضحة ليفهموا ويستفيدوا ليظهر لنا ان النفع الكلي ليس هو الا في سهولة الوعظ على السامعين واذا امتحنت

الكتاب المقدس قديمًا وحديثًا تجد وعظهُ مبنيًا على هذه السهولة لان شرف الوعظ ليس بتعقيد عباراتهِ بل بسهولة معانيهِ المفيدة لان المحرك فيهِ قوة الله التي تظهر في ضعف العبارات. هذه هي الطريقة التي تركت الالوف تلحق يسوع الى البرية وينسون ذواتهم من ضروريات معاشهم هذه هي التي صيرت الزانية عفيفة تائبة وجعلت المكاس واعظًا والصيادين مبشرين قال الانبا ابيلا ان شرف الوعظ ليس هو التكلم في الله مدة من الزمان بل شرفهُ هو انهُ اذا اتى من يسمعهُ وكان شيطانًا يخرج ملاكًا ان يوحنا صاحب الجليان لما ابتلع الكتاب من يد الملاك كان حلوًا في فمهِ ومرًّا في بطنهِ رؤ ١٠ : ١٠ . هكذا يلزم ان يكون كتاب الوعظ اذا سمعهُ الخاطي يراهُ سهلاً في سمعهِ لكن اذا ابتلعهُ اي فهمهُ يجدهُ مرًّا في بطنهِ اي يتالم منهُ نادمًا متوجعًا على خطاياهُ السئت تعلم ان الطريق السهل مقصود من جميع الناس حتى الضعفاء والطريق الشاق المتعب مقصود من القليلين لا يقوى عليهِ الاَّ الاقوياء ويسلكونهُ منضجرين هكذا الوعظ السهل فانهُ مفهوم من كل احد وكلٌّ يبلغ منهُ مرامهُ فاذا تعقدت عباراتهُ صار مكروهًا حتى عند العلماء لان الوقت وقت تعليم لا وقت جدال . للبكاء وقت وللضحك وقت جا ٣ : ٤

الفصل الرابع

في بساطة الوعظ

ليس بضروري للوعظ ان تكون الفاظهُ مبنية على قواعد النحو والتصريف والمعاني والبيان ولا على تنميق التراكيب وسبكها في قوالب مصنعة فان هذه كلها قشور خارجة يلهي السامعين رونقها الظاهر عن استفهام لب المعاني المكنون فيها فتفسد اثمار الوعظ التي هي تخايص الانفس اعتبر وعظ السيد تجدهُ عريًا بالكلية عن هذه القشور الباطلة لان المراد من الوعظ انما هو تهذيب السامعين وتوبتهم وخلاصهم لا تعليمهم الفصاحة والبلاغة والاعراب فان كان الرسول ترضيهِ بشارة الانجيل ولو كان بعلة الرياء والتظاهر وسلوك الحال كما قال وما عليَّ اذا كان يبشر بالمسيح اما بعلة واما بحق وقد فرحت بذلك وافرح بهِ ايضًا في ١:١٨ فكم يرضى ويفرح اكثر اذا كان الوعظ ظاهرًا بالبساطة المسيحية البرية من شوائب الرياء والتقصر بل الذي نعدهُ فيهِ نقصًا انما هو كمالهُ وهو بساطة الالفاظ فلا تمدح الوعظ لانهُ فصيح بل امدحهُ لانهُ مفيد قال بعض القديسين اذا رايت سامعي الوعظ قد خرجوا من البيعة منكسي الرؤوس صامتين فايقن انهم قد استفادوا وان الوعظ قد اثمر فيهم فهذا هو الممدوح من الوعظ وهذا هو الذي اشتهاهُ الرسول قائلاً احب ان انطق في الكنيسة خمس كلمات بفهم لافيد السامعين علمًا افضل من ربوات

من الكلام با للسان اكو ١٤ : ٩ امراده با لفهم المعنى المفيد ومرادهُ
بربوات من الكلام الالفاظ المنمقة بالفصاحة ولا فائدة فيها فالمفيد
ولوكان قليلاً حتى خمس كلمات افضل من الكلام غير المفيد ولو كان
ربوات فما الفائدة من الصنم اذا كان مزيناً وهو عديم الحس وما الفائدة
من الوعظ اذا كان معرباً ولا فائدة فيهِ فلسنا بوثنيين ترضينا
فخامة الالفاظ بل مسيحيين مامورين بالوداعة والتواضع والبساطة
ان الطاووس تتغالى الناس بريشهِ واما لحمهُ فيطرح للكلاب هذه
صفة الوعظ المزين بالالفاظ كالطاووس بريشهِ وليس لهُ معنى يفيد
وقد اخبرنا السيد عن القبور المكلسة بان داخلها رم الاموات
مت ٢٣ : ٢٧

القسم الثاني

في شروط الواعظ وفيهِ عشرة فصول

الفصل الاول

في سيرة الواعظ

قال الله حسب التلميذ ان يكون مثل معلمهِ مت ١٠ : ٢٥
انهُ لمن المعلوم ان الواعظ تلميذ السيد الذي اسس وظيفة الوعظ
ولما كان المسيح كاملاً في كل فضيلة لزم الواعظ الذي هو تلميذهُ ان
يكون كاملاً بسيرتهِ في جميع الفضائل كما قال الرسول اجعل نفسك مثالاً
في كل شيء لجميع الاعمال الصالحة في التعليم تي ٢ : ٧ لا سيما فضيلة

التواضع التي جعلها يسوع اساس سيرتهِ هذه الفضيلة نفسها يلزم الواعظ ان يعانقها حياتهُ كلها و يبني عليها اولاً عملهُ ثانياً علمهُ مثل يسوع معلمهِ الذي اخبرنا عنهُ الكتاب المقدس انهُ كان يعمل ويعلم اع ١:١ وقد نرى فضيلة التواضع ضرورية للواعظ جدًّا اولاً لان الوعظ من شانهِ ان ينفخ الواعظ بالكبرياء لانهُ معلم في وظيفتهِ ومكرم من الناس فمن هنا كان التواضع لازمًا لهُ ناظرًا الى تواضع معلمهِ لاسيما وقد امرنا بقولهِ تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب مت ١١ : ٢٩ ثانيًا لان الواعظ اذا احكم التواضع احكم معهُ جميع الفضائل لان التواضع اساس كل الفضائل قال القديس كبريانوس ان الاتضاع اس القداسة قال القديس غريغوريوس الكبير ان الاتضاع معلم كل الفضائل ووالدها حقًّا ان الاتضاع مختصر الفضائل والكمال ومجموعها كما ان الكبرياء مختصر الرذائل ومجموعها ولهذا اتى يسوع بالتواضع متجسدًا وخص عليهِ في تعليمهِ لتحوى معهُ جميع الكمالات فمن هذه الجهة كان التواضع لازمًا للواعظ جدًّا لكي يتقن معهُ جميع الفضائل فيكون كاملاً بسيرتهِ حتى يمكنهُ ان يقول مع يسوع معلمهِ من منكم يوبخني على خطية يو ٨ : ٤٦ فاذا كان تامًّا بسيرتهِ الفاضلة امكنهُ حينئذٍ ان يعلم ويعظ بمثلهِ الصالح اكثر من تعليمهِ . قال القديس اغناطيوس اليسوعي ان المثال الصالح واسطة مفيدة موثرة في تحصيل الثمار في القريب ولهذا يقول الله فليضي نوركم امام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي هو في السماوات مت ٥ :

١٥ اي انهم يمجدون الله بالعمل الصالح الذي اكتسبوهُ من مثلك الصالح يا ايها الواعظ الصالح حتى كانك تقول بلسان سيرتك المقدسة للناظرين اليك تشبهوا بي كما تشبهت انا بالمسيح ١ كو ٤ : ١٦ قال سينكا الفيلسوف الطبيعي ان التعليم بالكلام سفر طويل واما التعليم بالمثل الصالح فهو طريق قصير وهذا ظاهر لكون الناس يصدقون ما يرونهُ بالعين اكثر مما يسمعونهُ بالاذن فانهم اذا سمعوك تعظ على حفظ العفة وراوك سالكًا بها صدقوا ما تقولهُ وامكن لهم حفظها والاَّ فهم يقولون حفظها غير ممكن ولو كان ممكنًا لكان يحفظها من يعظ بها وقس عليهِ * قال احد العلماء لا توجد واسطة تحرك السامع مثلما اذا كان القائل متحركًا مثلاً كيف يمكنك ان تحرك غيرك الى اقتناء فضيلة ليست فيك فكن اذًا ذا سيرة كاملة لتحرك غيرك الى الكمال واقلهُ الى التوبة فاذا كانت سيرتك كاملة يا ايها الواعظ امام الناس تقطع السنتهم عنك فلا يجدون فيك علة تستحق القذف بها . لما اراد اليهود ان يرجموا يسوع قال لهم قد اريتكم اعمالاً كثيرة حسنة من عند ابي فمن اجل ايها ترجموني يو ١٠ : ٣٢ كن اذًا كيسوع لتقول عند رجم الظنون فيك مثلما قال يسوع ولا نسمع ذلك المثل يا ايها الطبيب داوِ نفسك لو ٤ : ٢٣ قال القديس ديونيسيوس الاثيني يلزم الكهنة والواعظين ان يكونوا مقدَّسين ومقدِّسين وكاملين ومكملين ومستنيرين ومنورين لانك ان كنت يا ايها الواعظ غير متقٍ فكيف يمكنك ان تجعل غيرك متقيًا وان كنت

متعدي الناموس فيكف تلزم غيرك بحفظهِ فاسمع الرسول موبخاً لك انت الذي تعلم غيرك الا تعلم نفسك تنادي قائلاً لا تسرق وانت تسرق تامر بان لايفسق وانت تفسق تحتقر الاوثان وتنهب الاشياء المقدسة رو ٢ : ٢١ وقد عرفت شرف وظيفتك التي تشرفت بها وانك تلميذ ذاك المعلم الصالح الذي لم يعمل اثماً ولم يوجد في فمهِ غش اش ٥٣ : ٩ فاحذر من ان تكون في وعظك وتعليمك عديم الحس قال القديس يوحنا السلمي ان عديم الحس اعمى ويعلم النظر يصف لشفاء الجرح ولا يكف عن حكهِ فان كان هذه حالك فكيف يمكنك شفا قوم اخرين من الداء الذي هو فيك هل يجني من الشوك عنب ام من العوسج تين مت ٧ : ١٦ فانك ان كنت شوكاً وعوسجاً فلا يمكن لاحد ان يجني منك ثمراً لذيذاً قال الفلاسفة كل شبه يلد شبههُ فكن متواضعاً فتوثر التواضع في غيرك كن عفيفاً فتوجد العفة في اخرين قال الحكيم اذا كملت السحابة سكبت المطر على الارض ابن سيراخ ١١ : ٣ انت السحابة فكن كاملاً لتغيث قلوب الناس من امواه عملك وعلمك ولتكن هذه نتيجة كلامنا وهي انك تعظ اولاً بحسن سيرتك ومثلك الصالح ليثمر تعليمك في قلوب الناس ثمراً صالحاً لان تمام العلم بالعمل واعمل كما عمل يسوع معلم وظيفتك فانهُ غسل اقدام تلاميذهِ اولاً ثم امرنا قائلاً فليغسل بعضكم اقدام بعض يو ١٣ : ١٤

الفصل الثاني

في ادب الواعظ

ان الادب يلزم الواعظ ضرورة لكون وظيفتهِ تهذيب الناس وتاديبهم فكما ان الوعظ العلمي لهُ مقدمة واقسام هكذا للوعظ العملي مقدمة واقسامٌ فمقدمتهُ الادب واقسامهُ ياتي بيانها . وقد سار يسوع في هذا الادب حياتهُ كلها كما يخبر عنهُ البشير بقولهِ وكان يسوع ينشو في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس لو ٢ : ٥٢ فهذه كانت حيوة يسوع في العالم مملوة من حكمة الادب والافراز في وعظهِ وتعليمهِ العملي واللفظي ومن هنا يحثنا الرسول قائلاً ليظهر احتشامكم لكل الناس في ٤ : ٥ لان الادب والاحتشام مثال صالح في بنيان القريب وهو لازم لكل مسيحي قال ترتوليانوس انهُ في ابتداء الكنيسة كان يقول الوثني لرفيقهِ اذا راهُ محتشمًا هل رايت مسيحيًا فان كان الادب يلزم لكل مسيحي فهو في الواعظين الزم لان الواعظ اذا كان مودبًا كان وعظهُ مضاعفًا فيكون واعظًا في البيعة بلفظهِ وواعظًا في الشوارع والمنازل بادبهِ هناك تتعلم منهُ الناس فضيلة التوبة والايمان وهنا يتعلمون منهُ فضيلة الادب هناك اذا سمعوهُ يعترفون بخطاياهم وهنا اذا راوهُ يستحيون ويحتشمون وهذا الادب والاحتشام كان غاية وعظ القديس فرنسيس الكبير بل كل القديسين بل رب القديسين

نفسهِ الذي قال لذاك المضاف متى دعاك احد الى عرس فلا تجلس في اول الجماعة لو ١٤ : ٨ اوقد شبه السيد الواعظ اولاً بالملح مت ٥ : ١٢ لان الملح يصون من الفساد هكذا الواعظ فانهُ بادبهِ يصون فساد نفسهِ وقريبهِ ثانياً شبهه بالنور فانهُ يكشف ذيل الظلام فينضح الطريق المستقيم . هكذا الواعظ فانهُ بادبهِ يهدي نفسهُ وقريبهُ ثالثاً شبههُ بسراج على منارة فانهُ يضي لكل من في البيت هكذا الواعظ فانهُ بادبهِ يضي بيت الله اي بيعتهُ بسيرتهِ الفاضلة فاذا فسد الملح وطفى النور وانكسر السراج فلا يعودون يفيدون شيئاً بل يطرحون خارجاً ويداسون هكذا الواعظ فانهُ اذا فقد الادب فلا يفيد شيئاً بل يصير للناس سخرية (١) قال القديس اغوستينوس انا نجتهد لنسلك في ساير اعمالنا وحركاتنا بنظام لا يغيظ احداً بل يعمر الجميع لان هذا هو اللايق بوظيفتنا نحن الواعظين لكون الناس تنظر الى الخارج لا الى الباطن فمن ثم كان الواعظ ملتزماً بالادب في كل من هذه الانواع الاتي ذكرها الاول يلزم الواعظ ان يكون مودباً بالحركات اي تكون حركات حواسهِ واعضايهِ مرتبة منتظمة وبهذا الادب كان يسوع مودباً حيث اخبرنا عنهُ النبي قايلاً قصبة مرضوضة لا يكسر وكتاناً مدخناً لا يطفى اش ٤٢ : ٣

(١) ليس المراد مما ذكرهُ المولف قصر الفضايل والاخلاق الحميدة على الوعّاظ والقسيسين وغيرهم من اصحاب الكهنوت اذ هي لازمة لكل نصراني دون استثناء احد منهم وانما المراد بيان مزيد

ان الواعظ تلزمهُ مثل هذه الرصانة والرزانة والا فهو كما قال الحكيم
الانسان المارد رجل غير نافع يسلك بفم معوج يغمز بعينيهِ ويرفس
برجلهِ ويتكلم باصبعهِ ام ٦ : ١٢ هذه كانت حركات يوليانوس
العاصي في صبائهِ وهو مسيحي كما شهد بذلك القديس غريغوريوس
اللاهوتي حيث قال فيهِ انهُ لن يوجد فيهِ ولا اشارة واحدة جيدة فما
اسمج الواعظ اذا كان متصرفاً بين الناس بحركات ذلك الانسان المارد
الذي اخبر عنهُ الحكيم وقد راينا بيانها في هذا العاصي الذي كان
من شانهِ اخيراً اضطهاد بيعة الله وسفك دم القديسين فاحترس
يا ايها الواعظ من ان تكون في حركاتك طايشاً مخلعاً فانك تسبب
لكنيسة الله من الحقارة والمذمة ماسببهُ ذلك العاصي من الاضطهاد
فتجازى جزاءهُ فانت ملتزم بالادب لتنطبع فيك سجايا الناظرين
الى ادبك فاذا راوك مخلعاً بحركاتك يفوت الخير المامول منك
لانهُ لا يوجد شيء يعيب الواعظ ويزريهِ في عيون الناس مثل خفة
راسهِ وطياشة حركاتهِ لان الماء اذا كان مضطرباً لا تنطبع فيهِ
اشباح الاشخاص استحضر امامك يسوع فيصير الهدو عظيماً ٠
الثاني يلزم الواعظ ان يكون مؤدباً بالكلام قال الرسول لا يخرجنَّ
من افواهكم كلمة قبيحة الا التي تحسن لبنيان الايمان ليكسب الذين
يسمعونها نعمة اف ٤ : ٢٩ ان الرسول قسم الكلام هنا الى قسمين
قبيح ومفيد فالقبيح قسمان ما يخص العوام وما يخص الاكليريكيين

فايدتها من هولاء بالنظر الى حال المستمعين لهم

فالذي يخص العوام هو الكلام السفيه والتجاديف والشتائم النجسة وهذه معدول عنها هنا لان كلامنا الان ليس هو في العوام والذي للاكليريكيين فهو الشتائم الخفيفة والمزاح والمطارحة والاخبار المضحكة والاستهزاء والهزء ومدح الذات ومذمة الغير وثلبهُ واظهار نقائص القريب وانواع الدينونة وانواع الفتنة والكذب والوشاية والمراياة والظنون الردية والمخاصمة فهذه كلها يلزم الواعظ ان يحترس منها وليتنبه الى ماقالهُ السيد المسيح من كلامك تتبرر ومن كلامك يُحكم عليك مت ١٢: ٢٧ وقال المثل رُبَّ كلمة سلبت نعمة وسببت نقمة فان هذه كلها اذا سُمعت من الواعظين هان ارتكابها على السامعين فيقولون لو كانت حرامًا لما تفوَّه بها واعظنا ولا ارتكبها فاذا كان الواعظ على هذه الصفة كان كانهُ يبني بيد ويهدم باخرى ان طائر الببغاء يتعلم تلك الالفاظ التي يسمعها من صاحبهِ فيقلدهُ بها بالتمام هكذا يكون حال العوام مع الواعظ فانهم يتعلمون تلك الالفاظ التي يسمعونها منهُ ان خيرًا وان شرًّا ويقلدونهُ بها * يا لعظم تعس الواعظ غير المؤدب بكلامهِ فانت هو يا ايها الواعظ تلك المرأة ايزابل التي اخبر عنها صاحب الجليان التي كانت تقول اني نبيـة وكانت تعلم وتضلُّ عباد الله لكي يزنوا وياكلوا من ذبائح الاصنام رؤ ٢: ٢٠ انظر فان هذه ثمرة نبوة وعظك من فحش كلامك فسوف يتهددك الله كما تهدد تلك ويلقيك على سرير اوجاعك انت وتلاميذك ويقتلكم بالموت الابدي ان لم تتوبوا . قال القديس

برنردوس ان الازدراء والمزاح من فم العوام استهزاء واما من فم
الكاهن والواعظ فهو تجديف فماذا نقول اذًا في حال بقية الالفاظ
الردية اذا برزت من فم الواعظ الملتزم بالكمال الذي يدلنا عليهِ
كلامهُ هكذا يقول المثل السائر كالك تحت كلامك واما الكلام
المفيد الذي امرنا بهِ الرسول فانهُ يفيد السامع بنيان الايمان وربح
النعمة وهذا هو الذي يلزم الواعظ والواجب عليهِ ان يعلمهم اياهُ
بادب كلامهِ ويقتدي بيسوع امام وظيفتهِ الذي اخبرنا عنهُ النبي
قائلاً لا يصرخ ولا يحابي بشخص ولا يسمع صوتهُ خارجًا اش ٤٢:٢
هذا نفسهُ يلزم الواعظ حتى لا يُسمَع صوتهُ خارجًا عن حدود
الادب امام الناس بل فليكن كل كلامهِ امام الناس في الله
وفي حفظ وصاياهُ لان هذه وظيفتك يا ايها الواعظ قال
القديس فرنسيس سالس كما ان النحلة لا تمتص بفمها الا العسل
هكذا فليصر فمك عسليًا بذكر الله على الدوام كما قال المرتل ان فم
الصديق يتلو الحكمة ولسانهُ ينطق بالعدل مز ٣٧: ٣٠ الثالث
يلزم الواعظ ان يكون مؤدبًا بالثياب قال القديس لويس ملك
فرنسا البس على حسب رتبتك لكيلا يستطيع احد من اهل الصلاح
والحكمة ان يقول انك تلبس اكثر مما يليق بك والحال ان رتبتك
رتبة واعظ ومعلم للاخرين فيلزمك ان تلبس اثواب الواعظ الحقيقي
وتعرف اثوابهُ اولاً ان تكون معتمة اللون ثانيًا ان تكون طويلة
مهيبة ثالثًا ان تكون نظيفة رابعًا ان تكون متوسطة الحال بين

الرفاعة والخشونة وكلما زادت خشونة زادت في عيون الناظرين نفعًا وحسنًا وقد اخبرنا الرسول عن اثواب اولياء الله الذين كانوا يعظون الناس بثيابهم قائلاً ساحوا وجالوا لابسين جلود الحملان والمعزى عب ١١ : ٣٧ فانهم بهذه الثياب الدنية كانوا يجولون بين الناس ويعظونهم بثيابهم حتى استحقوا ان يستشهد الرسول بوعظهم في وعظهِ ونحن نريد منك يا ايها الواعظ ان تجول بين الناس واعظًا بثيابك على موجب تلك الشروط الاربعة لانك بها يمكنك ان توبخ المنهمكين في زينة اثوابهم رجالاً ونساء والاَّ فكيف يمكنك ان توبخ المرأة على انهماكها بحليها ومصاغها وديباجها الملوَّن المذهب وقميصك من كتان رفيع مخرَّم الاطراف وكيف يمكنك ان تعزي الفقراء على خلقانهم وانت متوشح بالفراء والاثواب الرفيعة الثمينة سَلْ عن المسيح كيف كانت ثيابهُ والبس مثلهُ لانك في وظيفتهِ وتذكَّر ثوب العار الذي لبسهُ عند آلامهِ مت ٢٧ : ٢٨ فلا تضرَّ بملابسك الرفيعة اللينة شعب الله لئلّا يضربك الله بعقابهِ يا ايها الحايط المبيض المصقول اع ٢٣ : ٣ ولهذا يقول الله على لسان نبيهِ لماذا تسحقون شعبي وتطحنون وجوه الفقراء فلهذا يزيل الرب في ذلك اليوم العصائب والثياب اللينة اش ٣ : ١٥ لانها هي سبب سحق الشعب وغمر الفقراء أرايت يا ايها الواعظ كيف ان ترفهك بلين اثوابك الرفيعة اضر بشعب الله واهان وجوه المساكين فكن اذا رسولاً واعظًا بثيابك اكثر من كلامك

والاَّ فانهُ يقال لك ما قيل لذلك الغني اذكر انك قد قبلت
خيراتك في حياتك ولعازر بلاياهُ والان هو يتعزى وانت تتعذب
لوقا ١٦ : ٢٥ ان دود القز ثوبهُ من حرير لكنهُ فيهِ يختنق
فاحفظ اذًا ملابس وظيفتك لتحفظك وظيفتك * الرابع يلزم
الواعظ ان يكون مؤدبًا بالقناعة اي لا يكون شرهًا محبًّ بطنهِ اني
لا استحيي من ان انبه الواعظ على الاحتراس مما يختص بالبهائم
وهو الشراهة مع ان الواعظ ملاك ارضي وانسان سماوي بمنزلة يوحنا
الصابغ الذي شبهه النبي بالملاك مل ٣ : ١ والمسيح بايليا مت ١١ : ١٤ والله
اعطاهُ وظيفتهُ في تخليص الانفس وتشرف بهذه الوظيفة شرفًا
باذخًا حتى استحق ان يقال لهُ في شخص الرسل انتم الذين تبعتموني
في التجديد اذا جلس ابن الانسان على كرسي مجدهِ تجلسون انتم ايضًا على
اثني عشر كرسيًّا مت ١٩ : ٢٨ فقد ساواهُ الله في الجلسة لكونهِ ساواهُ في
الوظيفة وهي الوعظ لتخليص الانفس المثمنة بثمن دم ابن الله فان
كان شرف وظيفتك يا ايها الواعظ هذا مقدار استحقاقها فكيف
يسوغ لك ان تتشبه بالوحوش والبهائم في انعكافك على الشراهة
مثلهنَّ وانت في وظيفتك من سكان السماء وترتضي ان تكون اسير
جوفك كالبهائم وانت حرٌّ من نسل احرار الذين هم الرسل
الواعظون فان كنت عاجزًا عن ان تغلب الحنجرة فكيف تقوى
على ان تغلب بناتها . قال القديس توما اللاهوتي ان الشراهة
علة لخطايا كثيرة ثقيلة واخصها الزنا وقد قال بعض الحكماء راس

المعايب الشراهة . فعظ نفسك اولاً ودع الحنجرة تخضع للعقل وكُل طعام العقلاء ولا تخضع العقل للحنجرة وتاكل طعام الجهلاء قال القديس اسحق السرياني ان تدبرت الحواس من العقل اكلت معهُ طعام الملائكة وان تدبر العقل من الحواس اكل معها طعام البهائم فان كنت شرهاً كنت مدبرًا من حواسك لا من عقلك فانت اذاً بهيمة لا انسان ناطق فلهذا لا تنبت لك ارض نفسك الا شوك الخطايا وقرطم الرذائل وقد طالما وعظت الشعب واخبرتهم عن امساك يسوع وقناعتهِ وذكرتهم بذلك الخل والمر اللذين شربها فوق عود الصليب فكيف لا تستحي الان منهم عند ما يرونك وانت واعظهم مكبّاً على الموائد المتلونة تختار منها الذَّها بالشراهة وقلة الادب وتحشو جوفك بلا تمييز كانك من جملة البهائم المعدة للذبح وترادف اقداح الخمر والمسكر بلا عدد حتى يضطرب عقلك ووعيك وترتخي عضلات لسانك عن استقامة النطق وتتشوه سحنتك حتى تعود بغيضاً الى الله ومكروهاً في عيون الادباء والعقلاء وضحكة امام السفهاء والجهلاء ويستحيي عنك اكبر محبيك واصدقائك هذا جزاء اثم بنت سدوم التي اكلت خبزًا للشبع حز ١٦: ٤٩ فاصغَ اذاً يا ايها الواعظ الى ما يقولهُ سيدك ورب وظيفتك احذروا من ان تثقل قلوبكم من الشبع والسكر لو ٢١: ٣٤ لان الشراهة تظلم العقل من كثافة الابخرة وتعميهِ عن معرفة واجبات الوصايا الالهية التي تنبه الناس في وعظك على حفظها قال القديس

اسحق السرياني ان افعمت جوفك فلا تتوافح على شيء من تفسير
كلام الله لكون كلام الله يلزمهُ عقل ملائكي وانت قد صرت بشراهتك
بهيمة وبقلة ادبك وحشًا ساجدًا لصنم بطنك لاننا لم نرَ احدًا لم
يسجد لصنم بختنصر الا اولئك الفتية الفنوعين بالامساك الذين لم
يسجدوا لصنم جوفهم دا٣: ٧ فان كنت خادم الله فلا تخدم بطنك
وتمسَّك بما قالهُ الرسل انهُ لا يحسن بنا ان نترك كلمة الله ونخدم
الموائد اع ٦: ٢ الخامس يلزم الواعظ ان لا يكون مغرمًا بمحبة
الفضة قال الرسول محبة الفضة اصل كل الشرور اتي ٦: ١٠ قال
القديس يوحنا السلمي في تفسيره هذه الاية ان محبة الفضة ابدعت
البغض والسرقات وصنوف القتل وفواجي الفرقة والعداوات
والاضطرابات والحقد وموانع التحنن وجرائم الحسد ولهذا يقول بعضهم
حب الدنيا راس كل خطية فالواعظ من شان وظيفتهِ ان يمنع هذه الشرور
كلها فكيف يسوغ لهُ ان يبقي اصلها عندهُ فما اسمج الواعظ الذي يعظ
الناس ليرتدوا عن الفروع وهو متشبث بالاصول . وفي الكتاب
المقدس ان امصيا ملك يهوذا حارب بني ساعير من الادوميين
فكسرهم واخذ صنمهم فعبدهُ ٢ اي ٢٥: ١٤ هذا حال الواعظ
محب الفضة فانهُ يعظ الناس ليرذلوا محبة الفضة فاذا انتصر عليهم
وردَّهم عن ذلك ياخذ صنمهم فيعبدهُ لان محبة الفضة عبادة الاصنام
كما قال الرسول اف ٥: ٥ فان كنت يا ايها الواعظ قائمًا في
وظيفة يسوع يلزمك ان تكون مثل يسوع القائل ان ابن الانسان

ليس لهُ مكان يسند اليهِ راسهُ لو ٩ : ٥٨ وبهذا كان معنوتًا من العالم ومن ملاقاة اهل العالم لان محبة الفضة تلزمك يا ايها الواعظ ان تداري الاغنياء وترائي في سلوكك وتعليمك وترتكب رذيلة الطمع حتى تصير تومل من الناس اموالها وتعيب وعظك بالسيمونيا فتكون تاجرًا لا واعظًا فينفر حينئذٍ منك السامعون خوفًا على اموالهم فاين قول السيد الذي قال اخذتم مجانًا فاعطوا مجانًا مت ١٠ : ٨ فلا تظن انك تكمل واجبات وظيفتك وانت مستعبد للفضة هكذا قال رب المجد لا تقدرون ان تعبدوا الله والمال مت ٦ : ٢٤ فالله وهبك وظيفة لكي تتاجر نفوسًا للخلاص لا لتخزن بها فضة وذهبًا واثاثًا ثمينًا فلا تظن بعدها ان مواهب الله تقتنى بالفضة والّا فتسمع اخيرًا فضتك معك للهلاك اع ٨ : ٢٠ فلا يكون لك حصة ولا قرعة مع الواعظين المحقين فيكفيك اذًا ان تطلب من الله ما طلبهُ يعقوب اب الاباء وهو القوت الضروري والكسوة تك ١٠ : ٢٠ وهكذا قال الرسول واذا كان لنا القوت والكسوة فنقتنع بهما ١ تي ٦ : ٨ فاحترس اذًا من محبة الفضة ومن محبة البطن فان محبة الفضة رذلت يهوذا ومحبة البطن رذلت عيسو فما انت باطهر من ذلك ولا باشجع من هذا وقم بواجبات وظيفتك واجتهد لنفسك وتعليمك واهتمَّ بهِ فانك ان فعلت ذلك تخلص نفسك والذين يسمعونك ايضًا ١ تي ٤ : ١٦

الفصل الثالث

في تجنب الواعظ كثرة التقرب الى الناس

ليتجنب الواعظ هنا ثلثة اشياء اولاً المعاملة الدنيوية ثانيًا
الصحبة الخصوصية ثالثًا التظاهر بين الناس

الاول يلزم الواعظ ان يتجنب المعاملة والمتاجرة مطلقًا اولاً
لانها تعيقهُ عن القيام بواجبات وظيفتهِ التي لاجلها لم يدع السيد
ذاك الشابَّ ان يدفن اباهُ لو ٩ : ٦٠ مع انهُ لا اضرّ من دفن الموتى
لا سيما الاب لكن البشارة والوعظ الزم وأضرّ لان فيهما تخليص
النفس الفضلى فاين المتاجرات . منها ان الوزير الذي يهمل تدبير
المملكة الموتمن عليها من الملك ربها ليدبر احوالها رُذَل ويُعزَل
وانت قد أُقمت يا ايها الواعظ وزيرًا من الله لتدبير شعبهِ بالوعظ
فلاجرم انك تُرذَل من الله اذا لم تقم بواجبات وظيفتك لاشتغالك
بالمتاجرات . قال الرسول اذا كان احد لا يعتني بما يصلح لاصحابهِ
لا سيما اهل بيتهِ فقد كفر بالايمان وهو اشر من الذين لا يومنون
١ تي ٥ : ٨ أَرايت نتيجة تهاونك باعتنائك في تعليم اصحابك واهل
بيتك الذين هم رعية المسيح الذي ائتمنك على تعليمهم الى اي كفر
بلغت بك وسببهُ المعاملة والمتاجرة التي تعيقك ولاجلها خنت الله
في وظيفتك فصرت كانك كافرٌ بهِ مع انك قد قلت سابقًا مع
بطرس الرسول ها انا قد تركنا كل شيء وتبعناك مت ١٩ : ٢٧

ولان تكذب على الله حيث انك لم تترك له شيئًا ما اصلاً والشاهد
عليك المتاجرة فاقطع المتاجرة متمسكًا بوظيفتك ولا تدنس الاواني
المقدسة وقل مع الحكمة الالهية خلعت ثوبي فكيف البسهُ وغسلت
قدمي فكيف ادنسهما نش ٥ : ٣ ثانيًا لان المتاجرة للواعظ تغريهِ
على حب الفضة ولاجلها ينعاق عن اتمام وظيفتهِ كما اعاقت قبلهُ
ذلك الغني عن الالتحاق بيسوع للبشارة لو ١٨ : ٢٢ يكفي الطاير
ان ينصاد اذا علق راس جناحهِ في الدبق فكيف ينجو اذا علق
كلهُ وقد تقرر عندك سابقًا ان محبة الفضة مجموع كل الشرور. قال
السيد ان شككتك عينك فاقلعها او يدك او رجلك فاقطعها مت
٥ : ٢٩ ومن المعلوم ان المتاجرة في وظيفة الوعظ سبب عظيم يعيقنا
عن القيام بواجبات التعليم في تخليص النفس لانها تلزمنا ان نلتفت
الى الوراء. ان طائر النعام يداوم النظر في بيضتهِ حتى تنفلق عن
الفرخ فان اعرض عنها دقيقة واحدة فسدت البيضة ومدرت فهذا
النظر نفسهُ يلزمك يا ايها الواعظ ان تواظب عليهِ نحو وظيفتك
لانك اذا اعرضت عنها ملتفتًا المعاملة الدنيوية فسدت ثمرة وعظك
فاقطع اذًا المتاجرة متمسكًا بوظيفتك وقل مع الرسول انني عددت
كل شي كالزبل لاربح المسيح في ٣ : ٨ ثالثًا لان المتاجرة توذن
بالمخاصمة مّن قبل مغالطات دفاتر الحساب قال الحكيم لا يتبرر
الحانوتي من خطايا شفتيهِ ابن سيراخ ٢٦ : ٢٨ وما اشنع الواعظ
الذي تراهُ اليوم يخاصم من اجل الدرهم والدينار وغدًا يقف في

منبر الوعظ قائلاً تنكبوا المنازعات السفيهة التي لا ادب فيها فانكم
تعلمون انها تولد القتال ٢ تي ٢: ٢٣ تراك اذا قلت هذا من يصدقك
وانت اول من يكذّب هذا الكلام الالهي بمنازعاتك الباطلة المسببة
عن التجارة فانت هنا بمنزلة زهرة الاكليل تنفتح ليلاً وتذبل نهاراً
فلا فائدة للناظرين اليها هكذا انت فانك تنفتح في ليل المتاجرة
بالحكمة الباطلة وتذبل في نهار التعليم بمثلك الردي فلا يستفيد
السامعون منك الا المذمة والدينونة فاين وظيفة الوعظ التي
انتخبك الله اليها من اجل تخليص الانفس فكيف تومل انك ترضي
الله بها وقد صرت سبباً لهلاكها فمن اين هذا الا من تعلقاتك
بامور العالم لقد صدقَ الرسول القائل ليس احد يتجند لله فيتقيد
بامور العالم ليرضي الذي انتخبهُ ٢ تي ٢ : ٤ فانت عبد الله بل
جنديُّ الله بل وكيل الله في وظيفتهِ وقد اعطاك وزنتهُ فتاجر
بوزنتك لا بفضتك وادفن الفضة فترث السماء ولا تدفن الوزنة
وترث جهنم واقطع المتاجرة لئلاَّ تلتزم بالمخاصمة لانهُ لا يحل لعبد
الرب ان يخاصم ٢ تي ٢ : ٢٤

الثاني يلزم الواعظ ان يتجنب الصحبة الخصوصية فراراً من الشك
وذلك اولاً لان الناس اذا راوك تعاشر بعضاً بصحبة خصوصية
ينسبونك الى الغرض ويستنتجون من ذلك انك تبغض بعضاً وهذا
عين فساد ثمرة الواعظ الذي يلزمهُ ان يكون مثل صاري المركب
مستقيماً في ذاتهِ ويقوّم السفينة معهُ فان مال مالت السفينة معهُ

وغرقت . هكذا يقول بعض العلماء زلّة العالم كانكسار السفينة
تغرق ونغرّق . هكذا انت فان ملت بالمحبة الخصوصية نحو احد
مالت الرعية معك وغرقت في بحر الشك والظنون الردية وقد
قال الرسول احذروا من ان تجعلوا لاحد عثرة ٢ كو ٦ : ٣ فان
وبخت في وعظك يقولون هذا لفلان لانهُ يبغضهُ وان عدلت عن
التوبيخ في بعض اشياء يقولون هذا من اجل فلان لانهُ يحبهُ واي
فساد اعظم من هذا الفساد في ثمرة الوعظ الذي هو تخليص الانفس
فتكون عندهم على هذه الصيغة بمنزلة الواعظ المرائي وانا اسالك
هل يمكنك ان تبرئ ذاتك من ملافاة خواطر من تحبهم كلاَّ
فهذا امر يعز عليك وعلى امثالك فان كان الله يقول لاحد
القديسين اني لم اجد اعمالك كاملة رؤ ٣ : ٢ فكيف تكون اعمالك
انت كاملة وقد ظهرت ناقصًا في ميلك مع طبيعتك الناقصة نحو
الحب الخصوصي فاحفظ اذًا ذاتك من الميل الخصوصي واحب
الكل معًا ولا تختص بعشرتك منهم احدًا لئلا تلتزم ان تكون
سالكًا على رضاهم اذ هم سالكون على رضاك قال الانبا توما الكمبيسي
المحبة لجميع الناس واجبة لكن معاشرتهم غير لائقة . ثانيًا لئلا يكون
الشك اعظم اذا راوك تعاشر الاغنياء والاقوياء فان الناس من
هذا يشكون بل يعتقدون ان معاشرتك لمثل هولاء ليست
الاَّ لغرض دنيوي اي لتستمد منهم مالاً او جاهًا او حماية
تضاد القريب او وظيفةً ما او لمحبة البطن وما يشاكل ذلك

وهذه كلها تنافي ثمرة الوعظ لنقص الايمان فيك عند الناس لكونهم
يقولون انهُ يداري الاغنياء ويهمل الفقراء مع ان الرسول يقول انكم
انتم جميعًا ابناء الله بالايمان ليس في ذالك يهودي ولا يوناني ولا
عبد ولا حر ولا ذكر ولا انثى بل كلكم بيسوع المسيح شيء واحد
غل ٣: ٢٦ هكذا يلزمك يا ايها الواعظ ان تكون مع الجميع لانك
ان لم تحفظ نفسك في معاشرتهم من الذي تقدمنا فذكرناهُ فلا
يمكنك ان تصون ذاتك مما سنذكرهُ وهو ان معاشرتك الاغنياء
والاكابر تلزمك بمداراتهم بالمراياة وبان تسكت عن توبيخهم احتشامًا
وتهيبًا وحياء منهم وربما اذا استشهدوك في امر منكر تشهد به لرضاهم
وتلتزم في ان تشاركهم بمذمة الغير وتمدح ما كان مذمومًا فيهم واقلهُ
تسكت عن تنبيههم وهيهات ان تفاتحهم في امور روحية وتتصنع
امامهم بكلما يرضيهم ويلزمونك ان تتكلم بما لا يلزم ذمتك لتكون
لهم آلة في تنفيذ اغراضهم فتخرج من بينهم وذمتك منزل خرب
مملو حيات وعقارب تسهر الليالي منقلبًا متموجًا في بحر من الحزن
والياس وصغر النفس فلقد صدق الحكيم القائل من يعاشر من هو
اكبر منهُ يحمل اثقالاً ابن سيراخ ١٣: ٢ واي اثقال اعظم من هذه قال
الانبا تو ما الكمبيسي ناصحًا لك لا تدارِ الاغنياء ولا تحسب ظهورك عند
الاكابر والعظماء خوفًا عليك من ان تتورط بمثل هذه الرزايا المقدم
ذكرها . هذا غير انحطاط قدرك ومنزلتك في الوعظ عند الناس
من جرى هذه المعاشرة فاجتنب اذًا وكن في قيمتك وشانك

ووبخ الاغنياء والاقوياء والمساكين والفقراء معًا غير متهيب كبيرًا ولا صغيرًا وكن كايليا الذي لم يهب اخاب ملك اسرائيل بل كان يوبخهُ علانية ١ مل ٢١:٢١ وكما ان اخاب دان يهاب ايليا النبي الواعظ هكذا الاغنياء والاكابر يهابونك ويعتبرونك اذا كنت بعيدًا عنهم . ان كان الكتاب المقدس يبين لنا ظهور ايليا بغتةً ١ مل ١٧:١ فليكن هكذا ظهورك بين الناس بغتةً فالاولى بك اذًا يا ايها الواعظ ان تكون مثل يسوع في معاشرتك المساكين لانهم اقرب من الاغنياء الى ثمرة الخير والتقوى لانهُ يمكنك ان توبخهم وتبين لهم كلما يلزمهم لصلاحهم ولا ان تكون مع الاغنياء البعيدين عن التوبة وانت عاجز من قبل ضعف غيرتك عن ان توضح لهم الضروري لخلاصهم ويكون ضميرك من جهتهم مرتابًا فكن مع لعازر المضروب بالقروح في حضن ابرهيم ولا تكن مع الغني اللابس الارجوان في النيران الابدية لو ١٦:٢٢ ثالثًا لئلا يكون الشك اعظم اذا راوك تعاشر النساء اجارك الله من اشراكهن فان كان معاشرتك الاغنياء تهدم وعظك فمعاشرتك النساء تهدم وعظك وعرضك وقيمتك ولهذا يقول الحكيم لا تذل نفسك للمراة لئلا تتسلط على قوتك فتخزى ابن سيراخ ٢٧ اي اذا تنازلت الى المراة بالمعاشرة تقوى على قوة وعظك اي انها تشين وعظك وتعيبهُ بين الناس فتعود تخزى بينهم عند وعظك حتى تصير تتجنب التعليم في العفة واسباب الزنا خوفًا من ظنون الناس فيك لئلاً يقولوا لك لا تنهَ عن خلق وتاتي

مثله اي لاتمنع الناس عن شر انت فاعلهُ وواقع فيهِ ان في هذا لعارًا عظيمًا عليك فاهرب اذًا يا ايها الواعظ من النساء واحترس منهنَّ ولو كنَّ تقيات لاسباب . اولاً اقول اهرب يا ايها الواعظ من المراة خوفًا من معاشرتها لان معاشرة المراة سبب لاتلاف درة العفة اقلهُ في الحواس ظاهرًا وباطنًا لميل الطبيعة التي احد جزئي تركيبها الشهوة فهي لاتزال مائلة نحو عنصرها طبعًا فكما ان الثقل لايزال يطلب الهبوط لانهُ مركزهُ هكذا الرجل فانهُ لايزال يطلب المراة والمراة الرجل طبعًا ومتى وجدا وكان هناك عدم احتراس طلبت الطبيعة ما هو من غريزتها وهي الشهوة فيحتاج حينئذٍ الى صيانتها بعصمة الهية ولا ادري ان كنت تعطاها والا فانهُ يكفي في اتمام مراد الطبيعة النظر والشهوة كما قال ربنا من نظر المراة واشتهاها فقد زنى بها في قلبهِ مت ٥ : ٢٨ فتكون في مقارنة الفكر تبصر شر الشهوة ولا تريدها وانت تفعلها بسبب النظر المسبب من المعاشرة وتبصر خير العفة وانت تريدها ولا تفعلها بسبب المانع المسبب من المعاشرة هكذا يقول الرسول لست اعمل الخير الذي اريدهُ بل الشر الذي ابغضهُ اياهُ اعمل رومية ٧ : ١٥ والعلة في ذلك كلهُ ميلُ الطبيعة نحو عنصرها والذي قواها فيهِ سبب المعاشرة فبعد ان فهمت هذا يا ايها الواعظ فلم يبقَ لك من حجة تقنعك في معاشرة النساء ان هناك خيرًا اثمرهُ وعظك فان الام الطبيعة اكثر تاثيرًا في النفس من وعظك لانصبابها الى غرضها فهي تجذبك نحوهُ وانت

لاتدري وتواري عنك سم الشهوة بعسل التعليم فتظن ان هناك خيرًا مع انك عارف ان لاخير هناك وانما الطبيعة تستقيد عماك الى الحفرة التي احتفرتها انت بيد اختيارك انظر الى الاطفال والى حركات اعضائهم وهم لايدرون ماذا يعملون لعلك توبخ بذلك وقاحتك التي تقنعك ان هناك خيرًا قال الحكيم انهُ يوجد طريق يظنهُ الانسان مستويًا واواخرهُ تقود الى الموت ام ١٦ :٢٥ كثيرون مثلك ظنوا هذا الخير الذي تظنهُ وعاشروا النساء بهذا العزم وهذه النية وكانوا في معاشرتهنَّ لايشعرون بحركة لذة لا عن فضيلة بل عن عدم حس كالجرح الذي لانحس بالمهِ وهو حارٌّ واعتقدوا ان طريق العفة معهنَّ مستوٍ لكن اخيرًا قهرهم جسد الموت الذي انقادوا اليهِ اولاً اختياريًا واخيرًا اضطرارًا فرجعوا بصفقة خاسرة افتتحوا اولاً امرهم بالروح ثم ختموهُ اخيرًا بالجسد غل ٣ :٣ فان قلت وكيف كان ذلك اجبتك ان ابتداء المعاشرة كان من اجل تخليص النفس الموكل فيهِ الواعظ من جهة وظيفتهِ وهذا ابتداء حسن لكنهُ لما فقد الاحتراس والافراز دخلت لذة المعاشرة ثم المحبة غير المرتبة ثم التعليم والتوبيخ على غير نظام الاعتدال ثم الكلام الباطل ثم الضحك ثم الدالة ثم الهدايا والمراسلات والضيافات والليليات فكان اول المعاشرة شيئًا روحيًا وهو تخليص النفس فانتهى اخيرًا الى ان صار ختامهُ جسدانيًا كما قال الرسول فاهرب اذًا من معاشرة المراة ولا تقنع ذاتك بانك

تحترس معها من الاسباب فالناران لم تحرق تسود المكان بدخانها فحسبك منها شرّ لذة المعاشرة والحواس وتدنيس القلب والفكر واصمت عما يتلو ذلك وانت خبير بهِ واهرب متذكرًا ذلك القديس العظيم الذي لم يرد ان يدخل ديرًا فيهِ صبي وقال مالي والقتال بطال فكيف تقوي وانت اناء ضعيف على ان تجالس امراة وهيهات تنجو منها سليمًا وقد طرحت كثيرين جرحى وصرعت كل قوي ام ٧ : ٢٦ فاذا كنت لا تنتبه لهذا بعدهُ يصيبك ما اصاب داود وابنهُ . ثانيًا اهرب يا ايها الواعظ من محبة المراة لان النساء يملن الى محبة الرجال طبعًا اكثر من ان يميل الرجال اليهن وذلك لنقص عقل المراة لكون العقل لجامًا يهدي شبق الشهوة احيانًا او يتانى منهُ التاني في ممارسة المنكرات فالمراة لما لم يكن لها هذا اللجام كانت تميل بانصباب كلّي بلا تمييز نحو محبة الرجل وتشغف بهِ اكثر مما يشغف هو بها وذلك لنقص عقلها ولهذا كانت توبة الزانية اصعب من توبة الزاني ومن هنا يقول الحكيم وجدت انسانًا واحدًا من الف انسان وفي كل النساء ما وجدت امراة جا ٧ : ٢٩ اي انهُ وجد في الرجال تائبًا واما في النساء فلم يجد ولهذا الجم الله النساء بالحياء قال القديس يوحنا السلمي ان ربنا الصالح قد جعل اهتمامهُ بنا في هذا الوجه فالجم بالاستحياء الانثى والخجل للانثى بمنزلة اللجام للفرس لان الانثى لو كانت تحاضر الى الذكر لما كان ينجو جسم من البلية العظمى . اذا كانت المراة لعوبة ضحوكة كثيرة التودد خفيفة

الحركات ذات الفاظ عذبة فهذه كيف يمكنك التخلُّص منها وانت معها مقيم فلا جرم انك تشغف بها وتقودك الشهوة اليها رغماً لان عبد الشهوة اذلُّ من عبد الرق كما قيل حقاً ان هذه الاسباب كافية في ان تمتلك قلبك ولبك . وعقلك مع هذا كلهِ يقنعك بان تثبت معها لوعظها وتعليمها وقد كان يكفيك ان تنتبه لغلطك مما تصورهُ لك مخيلتك عند انفصالك عنها من حركاتها والفاظها وهيئة صورتها وانت متمتع منها بالوهم كما انك متمتعٌ منها بالحقيقة ويظهر لك حبها الغاش من انها ترضى بل تفرح جدًّا بتوبيخك وشتمك لها وتلتذ هي بذلك وتسرُّ بما تكلفها بهِ وتتممهُ بكل حرارة ورغبة ليس من اجل الفائدة بل من اجل شغفها بحبك واما انت فمتى لدع حبها قلبك فتعود تلتذ بما تعملهُ معها من الاهانة والحقارة وهذه هي علامة خطر هلاكك معها ويظلم عقلك من جرى ذلك حتى تظن بانك ساعٍ في كمالها وتقديسها والامر على خلاف ما تظن حقاً انها لك صنارة الموت والهلاك الابدي كما قال الحكيم من المراة ابتدات الخطية ومن اجلها نموت اجمعين ابن سيراخ ٢٥ : ٣٣ ثالثاً اهرب يا ايها الواعظ من خبث المراة واحترس منها ولو رايتها مقيمة في صلاتها لئلا تقوم من الصلوة وتعرقلك قال الحكيم كل خبث ولا خبث المراة ابن سيراخ ٢٥ : ١٩ يعني ان كل خبث يسهل دواؤهُ والتخلص منهُ واما خبث المراة فانهُ من الامراض المعضلة ولكن مجرد خبثها معك يا ايها الواعظ وخداعها لك هو بما

تتظاهر بهِ امامك من الصلاح والتقوى لان هذا فنكُنّ وهي لانجيء
الى الشيء الامن بابهِ وهذا هو حقيقة الخبث وبما انك واعظ
تطلب منك مداواتها فابعد عنها ولا تصدقها اذا رايتها
رقيقة القلب في العبادة تسكب الدموع تاسفًا وتندمًا لان النساء
من طبعهن سرعة الدموع والميل الى العبادة والى كثرة الاعترافات
خاصة وعامة والى استعمال علامات العبادة فلا تصدقهن لان ميلهن
الى الخير ليس هو عن عقل ولا عن حس قلب ولا عن ذوق روحي
بل هو اما من ميلهن اليك الطبيعي كما تقدمنا فقلنا واما من غيرة
احداهن من الاخرى لكون الغيرة غريزة في طبعهنّ حتى يتجاوزن
من اجلها الحدود والعوائد الجارية ولا يستحيين من ذلك والاشرُ
من هذا هو انهنّ يسود بعضهن عرض بعضٍ بغير خوف ولا تمييز
ليتسابقن الى محبتك الكاذبة . فنش قلب الواحدة منهن تجدهُ
مملوًّا اصنامًا نجسة وبتعجبن من هذا خبثًا عظيمًا يخدعن بهِ قائدهن
ومرشدهن بما يقدمنهُ لهُ من التودد النغل واصناف العبادة المملوَّة
من لذة خبث المعاشرة ولهذا ترى المراة غير ثابتة في العبادة والتوبة
والصلاح لان الخبث قائدها ومرشدها وانا اريك في خبثها امرًا
آخر دقيقًا جدًّا وهو انك اذا اظهرت لها الغيظ ورمت ان تنفصل
عنها مغتاظًا تراها تجثو لديك منضرعة وتظهر لك خضوعًا وخشوعًا
ودموعًا كانها خاطئة ولا تروم مفارقتك لئلا تهلك ولهذا تتشبث
بك وتمنعك الاّ تفارقها هكذا بكل جهدها وتتعلق بك تعلقًا

يستحيي منهُ فاقول لك لا تصدق هذا منها لان حبها لك غير المرتب يسوقها معك الى هذا المظهر الخبيث ولا تصدق دموعها فانهد ضديةً باطنها خلاف ظاهرها لان قصدها لو كان مستقيمًا معك لصبرت على ذلك بكل اتضاع كان الله يريد ذلك فان كنت غير محترس تميل الى مرادها وينجرح قلبك بسهم حبها حتى لا تعود تهوى مفارقتها بل لا تعود تقوى على ذلك فالويل لك ان اقمت معها على هذه الحال فلا تستبعد هلاكك فان رصدت المراة يا ايها الواعظ تجد خبثها يبان لك ولو كان دقيقًا من تملقها لك وتوددها ومن حركاتها ولينها وانعطافها ومن تهندم لبوسها ومشيها وخطراتها ومن ابتسامها وبشاشتها ومن اشاراتها وخدمتها لمن تحبهُ وكلفتها عليهِ الزائدة من مالها وكدّها وظاهر هذا عبادة لكن باطنهُ خبث لانها امارات فاسدة لا امارات عابدة لان العبادة الحقيقية تقتضي خلاف ما ذكرناهُ كلهُ فالويل لمن لا ينتبه الى مثل هذه الدسائس الموبقة فانجُ بنفسك ياهذا ولا تركن الى محبة المراة المبنية على اساسات الخبث لانها متى استحكمت افترست من تحبهُ حالاً كالاسد الضاري قال الحكيم لا تصغينَّ الى مكر المراة فان شفتيها عسل يقطر وحنجرتها الطف من الدهن لكن اواخرها مرة كالعلقم ومرهفة كسيف ذي فمين امثال ٥ :٢ فلا تصدقها كما نصحك الروح القدس أولا تعتقد بثباتها على الخير فلا تطلب الطيران من النوق ولا تطلب الثبات من المراة لانها متى تمكنت

من عشرتك وصدقت صلاحها المؤسس على جرثومة الخبث
وركنت اليها رجعت ولدغتك كالحية لا تواخذها فهذا طبعها
انت معتقد بصلاح نيتها معك من جهة طلبها التعليم والفائدة
وهي تعتقد بسوء نيتك معها لانها تتخذ كلامك المستقيم في
تعليمها في دروب معوجة وتشك فيك ان مرادك من معاشرتها
لذة لا تعليمًا وربما تخبرك بهذا كانها تشتكي على ذاتها امامك
وتحركك من خبثها الى شيء لم يكن في وهمك وليس هي المحركة هذا
بل الشيطان الناطق في فمها كما نطق قديمًا في فم امها حواء ولهذا
رآها صاحب الجليان جالسة على وحش احمر مملو اسماء تجاديف
وهي سكرى من دم القديسين رؤ ١٧ : ٣ اي انها قتلت قبلك
قديسين كثيرين وشربت دم نفوسهم ولهذا كانت سكرى وليس
الوحش الراكبة الا شيطان الزنا يعرض بها من واحد الى اخر لانها
بضاعته واسماء التجاديف هي صفات المراة الشبقة التي تسبب
الاهانة الى الله في اتخاذها الامور الصالحة في معرض الخبث والمكر
وتصير بهذا عثرة لمحبيه وكونه احمر رمز على شدة اضطرام الشهوة
المسبب عن غليان الدم عند المعاشرة فاحترس اذًا يا ايها الواعظ
من النساء ولا تكن بغير خوف اذا خاطبتهن . رابعًا اهرب يا ايها
الواعظ من الادمان مع النساء لانه لا امان معهن لا سيما البنات
الابكار المضطرمات بنار الشهوة ومن مكرهن ينذرن النذور
والصلوات ليمتلكنك ابًا ومرشدًا لهن واذا حصلن عليك ياخذنك

في وهق الخدمة والهدايا والزيارات وهذا خلاف المراد من العبادة الحقيقية المقتضية محبة يسوع وخدمتهُ وحدهُ واذا غبت عنهن يضطرمنَ اليك تشوقًا ومن هنا يقول ايوب البار عهدًا عاهدت عيني ألاَّ انظر في عذراء اي ٣١ : ١ قال القديس يوحنا الذهبي الفم في تفسيرهِ هذه الاية ان ايوب قال هذا لنكون حذرين حريصين من هذا الامر ولو كنا قديسين مثل ايوب فكيف يامن على نفسهِ بعد هذا كلهِ ذاك الواعظ الذي لا يحترس في ذاتهِ من معاشرة النساء ويامن اليهنَّ فهل انت اعظم حكمة من سليمان وداود ابيهِ فان كان هذان العمودان الوطيدان قد سقطا لما لم يحترسا فكيف تامن السقوط وانت اوهي من بيت العنكبوت وهل انت اكمل من ادم واشرف من يهوذا جد المسيح بالجسد واقدس من داود واحكم من سليمان واشجع من شمشون فهولاء كلهم قد سكرت ايزابل من دمهم وانت الان لا تعتبر وسراج عقلك قائم في مهب الرياح العواصف انني لا اتعجب من واعظ يملأُ جوفهُ لحمًا وراسهُ خمرًا ويعاشر النساء كيف يمكنهُ حفظ العفة والطهارة لا سيما اذا كان هناك سم الدالة والواعظ مقفر من الرياضات والتاملات العقلية وهو عديم من التهذيب الروحي خاليًا من مصباح الافراز فاطفر اذًا من هيروديا خائفًا جزعًا لانها قد اخذت من قبلك راس يوحنا في طبق مر ٦ :٢٨ ولا تركن اليها حياتك كلها لانها تكشف الاسرار وتهتك الاستار وقد

طالما علمتها وارشدتها وخصصتها بامور روحية من باب المحبة والاكرام وهي تنقل كل ذلك الى الغير لتتباهى بهِ قدامهم فتهتك عرضك بقلة عقلها وانت لا تدري ويتأتى من هذا كلهِ فساد وعظك وتعليمك للناس وربما لافراط دالتها معك تدبرك بما تعظ بهِ وتوبخ عليهِ وتقول للناس انا قلت لهُ ليقول كذا وكذا تبًّا لها من هتيكة كبرى وعثرة شنيعة قال الانبا توما الكمبيسي استودع الله جميع النساء الصالحات فما ظنك في غير الصالحات واحذر من ان تقبل لهنَّ مولودًا في المعمودية فان هذا من اعظم اشراكهنَّ في المعاشرة لانهُ يسبب لك اكثار التردد اليهنَّ بالامان بحجة النسبة الروحية فتكون قد اعطيت القدس للكلاب والقيت الجوهرة ما بين ارجل الخنازير فلا تستبعد من ان ترجع فتشقك مت ٧ : ٦ فاجتهد اذًا يا ايها الواعظ في ان تجتنب معاشرة النساء بالكلية . ان الحجر كلما قرب من مركزهِ اشتد انحدارهُ وانحطاطهُ شوقًا الى مركزهِ وانت كلما دنوت من النساء اشتد فيك ميلك اليهنَّ شوقًا الى عنصر طبيعتك فابعد الحجر عن مركزهِ واسندهُ فانهُ لاينحدر ابعد انت عن النساء واستند على الام يسوع وصلبهِ فانك لن تسقط الى الدهر وليس لنا غير هذا الدواء في مثل هذا الداء قال القديس اغوستينوس انهُ لن يوجد علاج اقوى واكثر فعلاً عند تجارب الزنا مثل التامل في الام سيدي ومخلصي يسوع المسيح وموتهِ ثم ان هذه التعذرات كلها لا تختص بالواعظ وحدهُ بل هي لازمة ايضًا

لكل كاهن فانهُ اذا لم يكن حريصًا وعفيفًا وامينًا يسقط ضرورة بالحواس مطلقًا فيلزمك يا ايها الكاهن ان لا تعطي المراة يدك لتقبلها فاحترس من هذا المحذور جدًا لانهُ لا يخلو من لذة بهيمية منك ومنها وهذا المعنى قد اهلك كثيرين كما قيل من اناس اتقياء اراد الله ان يريهم هذا لكي ينبهوا عليهِ وقد يوجد شر اخر من بعض نساء ياخذنَ ثياب معلميهن الكهنة فيطوينها ويرششن عليها عطرًا وزهرًا فهذا فعل ظاهرهُ كرامة لكن باطنهُ مملوءٌ حبًا الميًا فلتحذر الكهنة هذا لئلا يدانوا مع الزناة فاغلب اذًا هذه الالام يا ايها المجاهد لتنال مرتبة الغالبين كما قال السيد ومن يغلب فانا اعطيهِ ان يجلس معي على كرسي مثلما انا غلبت وجلست مع ابي على كرسيهِ رؤ ٣: ٢١ خامسًا انني لا استثني هنا بعض نساء عفيفات عابدات حقًا مدبرات من الروح القدس على ايدي كهنة اباء افاضل مفعمين كمالاً وقداسة وحكمة روحية مسيحية فترى المراة العابدة حقًا الاتضاع اساسها والسذاجة بيتها ومحبة الله سورها والتاملات الروحية قوتها والافراز مدبرها والطاعة مقودها والعفة زينتها والفضائل ثوبها والادب والاحتشام جمالها وتجنبها الناس شغلها وعملها فتراها متصرفة مع ابيها الروحي باحتشام وتهيب منزه عن كل دالة عالمية ومحبة لينة فمن هذه العلامات تُعرَف المراة العابدة حقًا المطالبة الكمال المسيحي . يقول الحكيم نعمة على نعمة المراة القديسة المسيحية ابن سيراخ ٢٦: ١٩ حقًا ان الذهب لا يوازي

مثل هذه العفيفة قد ابصرت نساء طاهرات في عفتهن كاملات
في سيرتهن وعبادتهن قد افدن مدبرهن ومرشدهن اكثر مما
استفدن منهُ فهولاء اللاتي تفيد معاشرتهن بالافراز هولاء اللاتي
يسرن بالبساطة المسيحية مع مرشدهن هولاء اللاتي يؤمن اليهن
فالخليق اذًا بمثل هذه المراة المقدسة بان تسلم بيد اب مقدس
فالثوب الملوكي للملوك ان ملكة الفلاح فلا يعرف قيمتهُ فالمراة
الكاملة بعقلها وسيرتها وافرازها لا يستحقها الا تدبير مرشد كامل
بعقلهِ وسيرتهِ وافرازهِ لتزيد بهِ كمالاً وتقديسًا كما قال صاحب
الجليان الذي هو بار فليتبرر ايضًا والقديس فليتقدس ايضًا
رؤيا ٢٢: ١١ فتسلمها يا ايها الاب القديس واستفد من خصالها
الكاملة اكثر من ان تفيدها ومع هذا كلهِ يلزمك الاحتراس معها
ناظرًا الى ضعفك والى عدم اتكالك على ذاتك وانك غير كفوءٍ لها
ولا تقوى على حفظ نفسك معها فدعها لغيرك اكمل منك يرشدها
واما انت يا ايها الواعظ فقف جانبًا ولا تلمس تابوت الرب مثل
عزًا فتسقط ميتًا ٢ صم ٦: ٦ ودع الذي انتخبهُ الرب الى تدبير
الانفس في طريق الكمال المسيحي ان يتقدم عنك فيباشر وظيفتهُ
ولا تفارق انت وظيفتك فقد رذل الله شاول الملك حين تطاول
الى وظيفة غيرهِ ١ صم ١٣: ٩ فاعتبر انت من هذا وكن مشتغلاً
بما انتخبك الله اليهِ وهو الوعظ المقدس الا في الضرورة اللازمة او
في وقت الرسالة او اذا الزمتك الطاعة فاذا مارست تدبير الانفس

لا سيما النساء فلا مانع لك لكن بهذه الشروط. اولها ان يكون الى زمان محدود لا دائماً. ثانيها الا تختص بواحدة منهن. ثالثاً لا تذهب اليها الا اذا الجأتك الضرورة كما في وقت المرض وغيره. رابعها لا تستخدمها ولا تقبل منها هدية خصوصية لك لتدفع عنك غائلة الزيارة والضيافة. خامسها احسب في وجودك معها انك ماسك بيديك اواني القدس المكرسة لله لتستقني وانت معها ضابط الحواس والادب والاحتشام وتدفع عنك غائلة الدالة والضحك والكلام البطال. سادسها سلح نفسك بسلاحات الرياضات والتاملات الروحية متمسكاً بالافراز لتصون معها فكرك ونظرك دائماً. سابعها ان عاشرت امراة في تعليم روحي وكنت لها اباً مرشداً ومعلماً في الاعتراف كما قلنا واردت ان تعرف هل انت معها بنوع يرضي الله ام لا فافحص ضميرك في وجودك معها فان رايت في انفصالك منها الا تشعر بالم الفرقة وان وجودك وعدم وجودك معها شيء واحد فانت حر من اسر محبتها وقلبك غير متعلق بها ولا مجرح بسهم حبها البهيمي ولكن مع هذا كله يلزمك التحرز منها وانتصح بما قاله الحكيم لا تعط النساء ثروتك امثال ٣١:٣ قد منعك الروح القدس هنا عن ثلثة اشياء في معاشرتك النساء

اولاً لا تتامل في جمال المراة ولا في زينتها لئلا يرتسم في عقلك شخصها وحركاتها فتثير عليك حرباً عظيمة في الخلوات فتتدنس ولهذا ينبهك الحكيم قائلاً فلتكن ثيابك بيضاء جا ٩:٨ اي فلتكن

حواسك بيضاء كل حين بالعفة والطهارة ولا شيء من الحواس
يدنس النفس مثل النظر لانهُ يرسم في العقل رسوماً لا تمحى ولهذا
كان اصعبها

ثانياً لا تمسك يدها ولا تمس شيئاً من ثيابها قال الحكيم ان
المراة مقنص الصيادين قلبها شبكة ويداها قيود جا ٢٧:٧ لانك
ان تهاونت بهذا تتصل الى ما هو اشر منهُ وهو الدالة . والمراة قريبة
من هذا اللين طبعها وضعف عقلها وشدة ميلها نحو المحبة فتقتنصك
بذلك وتقيدك بسلاسل يديها كما قيدت شمشون

ثالثاً لا تدعها تمسك يدك وتقبّلها اياك ثم اياك من ذلك لان
هذا اول آلات ابليس في معاشرة المرأة ومجالستها وتعقبها المنادمة
والمواكلة وهلمّ جرّاً ولهذا يقول الحكيم لا تجالس المراة الاجنبية ولا
تتكىء معها على مرفقك ابن سيراخ ١٢:٩ ومرادهُ بالاجنبية غير
الزوجة فقط فتنبه فان صنت معها نظرك ولمسك حفظت ثروة
عفتك التي حضك الحكيم على حفظها واما ان رايت في انفصالك
منها صعوبة وشعرت بالم الافتراق وتوجعت من مباينة لذة معاشرتها
فاعلم انك مجروح بسكين هواها وانك صرت في محبتها اسير الشهوة
وقد اصطادتك بمكر شفتيها وعرقلتك بوهق عبادتها الباطلة
الخادعة وقد صرت عاشقاً لا واعظاً ولا مرشداً فاهرب اذاً حالاً
وعدِّ عنها ولا تقم بعد معها ولا يوماً واحداً والا فقد يبعد عنك اخيراً
التخلص منها كما يبعد الخلاص عن الطائر الواقع في الشرك وكثيرون

تورطوا في هذه المقنصة لجهلهم واخيرًا عسر عليهم الخلاص حتى صار اغرب من اقامة الموتى فان كان الله اعطاك نعمة خاصة ونجوت من مخالب تلك المراة ورايت قلبك بعد الهرب منها ملتذًا بفكرها وذكرها فاعرف ان هواها بعدُ فيك حيًّا فدواؤهُ ان تتناسى معاني معاشرتها وتنكب سماع اخبارها واياك ثم اياك من مكاتبتها او مراسلتها لئلا تعود الى قيئك وتطلب الرجوع الى معاشرتها فتكون الضلالة الاخيرة اشر من الاولى

الثالث يلزم الواعظ ألاَّ يتظاهر بين الناس كثيرًا لكون الناس يخالون الواعظ لسماعهم خلاصة وعظهِ وتعليمهِ انهُ ليس من بشر بل هو من ملاك سماوي يفوق الطبيعة البشرية ولهذا يقول الرسول اننا صرنا مشهدًا للدنيا وللملائكة وللناس ١ كو ٤ : ٩ وهذا ظنٌّ حسن من العوام لكن يلزم الواعظ ان يحقق ظنهم باستقامة اعمالهِ لانهُ في وظيفة المسيح الذي كانت اعمالهُ تشهد لفضلهِ فاما اذا كان الواعظ ليس هو عند نفسهِ كما يظن بهِ الناس فيلزمهُ انهُ يحتجب عنهم الاَّ قليلاً ويتجنب مخالطتهم نظرًا الى الغاية لان فضل العقل النظر في العواقب

اولاً لكي لا يقل اعتبارهُ عندهم من زيادة تردده ما بينهم فاذا قل اعتبارهُ قلّت فائدة وعظهِ لان الشي الثمين اذا كثر في مكان رخص ثمنهُ قالت الحكمة الالهية من هذه الصاعدة من القفر كانها غصن بخور من طيوب مر وكندر من جميع ذراير العطار

ان هذه صفة الواعظ اذا خرج من القفر اي من مكان نش ٣ : ٦
خلوة يلزمهُ ان يكون لدى الناس ذا رائحة ذكية كالطيب وهكذا
يقول الرسول اننا نحن رائحة المسيح الطيبة ٢ كو ٢ : ١٥ وهذا لا يمكن
ان يكون للواعظ الا اذا كان وجودهُ بين الناس قليلاً ان اناء
ماء الورد اذا هرق ذهب طيب رايحتهِ هكذا الواعظ فانهُ اذا
اكثر التردد اضاع طيب قيمتهِ فتذهب رائحة وعظهِ

ثانياً لان الواعظ الكثير التردد بين الناس لا يخلو من
نقص في طبيعتهِ وكلامهِ وحركاتهِ لضعف الانسان ولهذا يقول
الرسول ان قلنا انهُ لا خطية لنا نضل نفوسنا وليس فينا حق ا يو
١ : ٨ قال القديس فرنسيس ساليس انهُ لمن المستحيل ان نخلو
بالكلية من الخطايا فاذا رات العوام من الواعظ بعض هفوات
جزئية يستعظمونها ويستغربونها فيعثرون في ديونتهِ والازدراء
بهِ ولم يعرفوا ان الصديق يسقط كل يوم سبع مرات ام ٢٤ : ١٦ وهو
صديق لكون سقوطهِ في هفوات طبيعية ولهذا تحتجب الملوك ورؤوس
الكهنة لتحفظ لهم كرامتهم واحترامهم فينتج للعوام من هذا ان يتجاسروا
على التورط في الكبائر اقتداء بالصغائر التي رأوها في الواعظ
فيكون وجودك الزائد ما بين العوام يا ايها الواعظ قد سبب
شروراً عظيمة وانت لا تدري وهذه هي الخفيات التي طلب المرتل
النجاة منها بقولهِ من خفياتي نقني مز ١٩ : ١٤ فاقتصر اذاً من كثرة
زيارات العوام ومواكلتهم الا في الامور الروحية

ثالثًا لان اعمال العوام بمنزلة الجرب الذي يعدي من يلمسهُ فاذا حضرت ما بينهم يا ايها الواعظ يعدونك من جرب اعمالهم الردية لانك تلتزم من جهة المعاشرة ان تشاركهم في شرهم حياءً منهم لترضيهم لان شرط المرافقة الموافقة والمجالسة المجانسة قال بعض الفلاسفة لا تكثرنَّ من معاشرة الناس لان من عاشرهم داراهم ومن داراهم راياهم ولهذا حذر السيد تلاميذهُ قائلاً انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين مت ١٦ : ٦ اي من تعليمهم وهولاء كانوا نساك اليهود فان كان السيد يمنعنا من معاشرة المتظاهرين بالعبادة مثل هولاء والاَّ نتعلم منهم فكم يلزمك يا تلميذ المسيح ومبشرهُ ان تمتنع من مخالطة العوام السائرين بالجهالة ولا تخلو من دنس اعمالهم لان من يلمس القير يلصق بهِ . ابن سيراخ ١٣ : ١ قال الانبا توما الكمبيسي ما عاشرت الناس الا ورجعت انسانًا انقص ان الذهب منظرهُ بهيٌّ فاذا خالط الزيبق زال بهاؤهُ فتيقظ اذًا يا ايها الواعظ وكن منتبهًا وانتصح بما قال لهُ الرسول لتلميذهِ كن متيقظًا واتعب في كل شيءٍ واعمل عمل المبشر وتمم خدمتك ٢ تي ٤ : ٥ وكن صاحي العقل ونقيّ الضمير من ظلمة المعاشرة وكدر ادناس الناس الذي لا بد منهُ ان فقدت في ذلك مصباح الافراز وملح الحكمة متذكرًا خطر المومن الذي يعتريهِ فقد حرارة الايمان المستقيم عند معاشرتهِ الكفار والمبتدعين والمعاندين

الفصل الرابع

في ان الواعظ يحترس من ان يكون رئيسًا او قاضيًا

الاول يلزم الواعظ ان يتجنب الرياسة بكل جهدهِ لكونها حملاً ثقيلاً باهظًا تعجز عنهُ مناكب الملائكة كما قال المجمع التريدنتيني العام المقدس لانها تسبب اتعابًا ومخاطرات تفوق قوة صاحبها. فمن هنا كان حب الرياسة راس المحن قال ارسطوان السياسة لا تصلح لمخلوق البتة انما هي محنة يُمتحن بها الناس فالعاقل يبين من نفسهِ الضعف عن القيام بتدبيرهِ والجاهل يرى ان في قوتهِ وطبعهِ ما يقوم باضعافها. فلهذا لا مناسبة بين الرياسة والوعظ بل نري بينهما تضادًا عظيمًا بينًا لان الرئيس مجرّد في يدهِ سيف الحكم والانتقام والواعظ حامل بيدهِ قارورة البلسم حتى اذا جرح ذاك بسيف حكمهِ يداوي هذا ببلسم وعظهِ هذا نفسهُ يلزمك يا ايها الواعظ ان تفر من الرياسة كهربك من السيف الصارم. فلك ان تكون رئيسًا وواعظًا معًا لكن كن وقت الرياسة حاكمًا ووقت الوعظ ابًا والا فهو اجتماع النقيض وهذا مستحيل لقد رذل الرسول ذلك الفم الذي تخرج منهُ البركة واللعنة يع ٣ : ١٠ فكيف يمكنك ان تكون رئيسًا وواعظًا معًا بسلطان واحد فيهما فاعطِ ما لقيصر لقيصر وما لله لله فتكون منصفًا فلهذا شوري عليك اذا كنت واعظًا ان لا تطلب ان تكون رئيسًا لما ياتي بيانهُ. وان الجاتك

الضرورة الى ذلك فكن حكيمًا وضع كلاً في مقامهِ ان السيد لهُ المجد لما علم انهم سوف ياتون فيختطفونهُ ليصيروهُ ملكًا فر هاربًا الى الجبل يو ٦: ١٥ لئلا يفقد مداواة الوعظ في تخليص الانفس التي جاء من اجلها ليشفي ببلسم دمهِ الزكي ذلك الذي جرحهُ ابليس بمكرهِ كما يبين لنا هذا المعنى بذكر المثل الذي مدح فيهِ السامري لانهُ دنا من ذلك الذي وقع بين اللصوص وجرحوهُ فضمد جراحاتهِ وصب عليها زيتًا وخمرًا وحملهُ على دابتهِ واتى بهِ الى الفندق واعتنى بامرهِ حتى يشفى لو ١٠: ٣٠ فالسامري كناية عن السيد المسيح الذي سعى بخلاص ادم الجريح من الشيطان ثم عنك ايضًا يا ايها الواعظ لانك قائم في وظيفة المسيح تشفي بوعظك كلوم خطايا البشر فكما ان السامري فضل بوظيفتهِ ذلك الكاهن واللاوي اللذين صادفا الجريح وتعدياهُ هكذا وظيفتك التي تداوي تفضل وظيفة الرياسة التي تجرح فان الرياسة تشغل عن الوعظ من قبل المهمات العالمية الملتزم بها الرئيس ضرورة واما وظيفتك فانها تحثك الى الوعظ من قبل تفرغك الى ذلك فما اعظم الفرق بينهما فاهرب انت يا ايها الواعظ من الرياسة كما هرب يسوع رب وظيفتك من الملك فان هذه كلها اشتغالات تنافي وظيفة الواعظ والتحق بيسوع الذي سلك في وظيفتهِ مقاليد العلم والعمل لتداوي اولاً ببلسم سيرتك وتداوي ثانيًا ببلسم وعظك وتعليمك فتلتزم من هنا ان تسلم نفسك عن الخراف الضالة من شعب اسرائيل المسيحي كما سلم المسيح نفسهُ عنك ولا تنسَ نعمة

الضامن لانهُ اسلم نفسهُ من اجلك ابن سيراخ ٢٩: ٢٠ وتشبه ايضًا
بيوحنا الصابغ الذي استعفى من ان يضع يدهُ على راس المسيح في
العماد مت ٣: ١٤ وكان ذلك تواضعًا منهُ مع ان السيد طلب منهُ
ذلك لا تقل ان الله دعاك الى الرياسة ولو فرضنا هذا الفرض
غير المعلوم وغير المحقق لزمنا ان نتجنب منهُ بكل جهدنا اولاً ان
الرئيس ذو حكم وبطش والواعظ تلزمهُ الوداعة والحكمة كقولهِ
تعالى كونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام مت ١٠: ١٦ ثانيًا
ان الرئيس يُذَم اكثر من ان يُمدَح لكونهِ حاكمًا والحكم يثقل على
الطبيعة والواعظ يلزمهُ ان يكون محبوبًا من الجميع ليفيد في وعظهِ
ولهذا اوصى السيد تلاميذهُ قائلاً احبوا اعداءكم لو ٦: ٣٥ لئلاً
يكون منهم سبب ليبغضوا بل ليحبُّوا كما يحبون ثالثًا ان الرئيس
يلزمهُ مخالطة الناس لاسباب تقتضيها رياستهُ والواعظ يلزمهُ تجنب
الناس ليصان من العثرات والشكوك كما قلنا في الفصل المتقدم
ولهذا يقول السيد ان شككتك يدك او رجلك فاقطعها مت ١٨:
٨ رابعًا ان الرئيس مشتغل بمهمات عالمية كثيرة والواعظ مشتغل
بالامور الروحية فيما يخص الوعظ والتعليم كقول السيد مرثا مرثا
انك مجتهدة مهتمة بامور كثيرة والمحتاج اليهِ واحد واما مريم
فقد اختارت حظًّا صالحًا لا ينزع منها لو ١٠: ٤١ خامسًا ان الرئيس
تلزمهُ المعاملة والواعظ مقطوع عنها لان الله دعاهُ كما دعا متى
العشار مر ٢: ١٤ سادسًا ان الرئيس يلزمهُ اخذ خواطر الناس

لتمام القيام برياستهِ والواعظ يلزمهُ ان يكون مع الجميع على حالة واحدة مثل يسوع الذي شهدت لهُ اعداؤُهُ قائلين انك لا تنظر بوجه انسان مت ٢٢ : ١٦ سابعًا ان الرئيس تلزمهُ صحبة الاكابر والاعيان خوفًا من شرهم والواعظ يلزمهُ ألَّا يخاف احدًا غير الله كقولهِ تعالى لاتخافوا ممن يقتل الجسد وبعد ذلك ليس لهم ان يفعلوا اكثر انا اعلمكم ممن تخافون خافوا ممن اذا قتل لهُ سلطان ان يلقي في جهنم لو ١٢ : ٤ ثامنًا ان الرئيس يجرح بسيف حكمهِ والواعظ يداوي ببلسم وعظهِ ان بطرس قطع اذن عبد عظيم الكهنة ويسوع ابراها يو ١٨ : ١٠ هكذا الواعظ فانهُ يداوي ما يجرحهُ الرئيس بسيف رياستهِ تاسعًا ان الرئيس لهُ شغل واحد وهو العلم واما الواعظ فلهُ شغلان العلم والعمل فهو اعظم هكذا قال الله من يعمل ويعلم فذاك يدعى عظيمًا في ملكوت السموات مت ٥ : ١٩ عاشرًا ان الرئيس حكيم في العالميات يامر وينهى والواعظ حكيم في الروحيات والنظريات يرم ويبني بالسلطان الذي أُعطى لهُ على حسب كلام الله الثاني لاتكن يا ايها الواعظ قاضيًا لاسباب اولاً لان القاضي من شانهِ ان يغيظ اناسًا ويرضي اناسًا ثانيًا لانهُ يشك فيهِ بالرشوة ثالثًا ينسبونهُ الى الرياء والمحاباة رابعًا يقذفونهُ بالجور والعدوان وربما تبلغ بك الطبيعة الى مثل هذه المظنات لانهُ ليس صالح الا الله وحدهُ مرقس ١٠ : ١٨ وهذا يوكدهُ ماقالهُ الله في ابتداء خلقهِ الانسان ان كل فكر القلب مائل الى السوء

في كل اوان تك ٦: ٥ فانفر اذاً من القضاء الذي يفسد ثمرة وعظك
بسبب هذه المحذورات كما نفر السيد قبلك من ذلك حين قال
لهُ واحد من الجمع يا معلم قل لاخي يقاسمني الميراث فقال لهُ يا انسان
من اقامني عليكما حاكماً او مقسماً لو ١٢: ١٣ لان السيد كان
عارفاً بان اخاهُ ظلمهُ بالارث فلو قضى بينهما لما خلا من وجد عليهِ
فلهذا امتنع من القضاء لئلا ينثلم الوعظ الذي هو فيهِ حالاً لان
ذاك طلب منهُ القضاء وهو في حال وعظهِ وتعليمهِ

الفصل الخامس

في تهيوء الواعظ الى الوعظ

يلزم الواعظ ان يتهيأ مستعدًّا الى الوعظ قبل وعظهِ بايام ملائمة
لموضوع الوعظ مطولاً كان او مختصرًا فالاستعداد لهُ واجب
وضروري جدًّا ويلزمك في هذا التهيؤ يا ايها الواعظ شيآن الاول
درس الكتب المناسبة لموضوعك وهذا ياتي بيانهُ في الفصل التالي
الثاني اكتب في كاغد كتابة مختصرة مقدمة وعظك واقسامهُ واحفظ
غيبًا ما كتبتهُ حفظًا تامًّا حتى اذا القيتهُ على الناس لا تنسى منهُ
شيئًا ولا يشرد عنك منهُ شيء واما بقية الفاظ الموعظة فضعها من
عندك كهواك فلا تحتاج الى كتابة وعيّن اماكن الشهادات والبراهين
والامثلة والاخبار فهي للوعظ كالمسامير لانها اولاً تمكن بنيان وعظك
وثانيًا تسعف القوة الذاكرة لئلا تشرد عن البحث الذي انت فيهِ فتكون

بمنزلة درج السلم تصعد فيهِ درجة فدرجة وهذا التعين ضروري للواعظ والا فهو يخبط في وعظهِ خبط عشواء فيكون بمنزلة اعمى ضائع في حرش لا يعرف اين يهتدي ولا يدري اين ينتهي وهذا شيء فظيع جدًّا وخزي مر على الواعظ قد هدم واعظين كثيرين وعطلهم من صناعة الوعظ الشريفة فالتهيؤُ يخلصك من هذا المحذور ويرد عليك ضالتك قال الحكيم ينصحك ان رايت انسانًا عجولاً في اقوالهِ فالرجاء منهُ جهالة ام ٢٩ : ٢٠ اي لا تومل منهُ اصطلاحهُ ولا فائدتك فسبيلك اذًا يا ايها الواعظ ان تتهيأ لوعظك كما قلنا لتتقن صناعتك ولا تكن كمن يجرب الله . ابن سيراخ ١٨ : ٢٣ اي لا تخاطر معتمدًا على سعة ذهنك وحافظيتك وشقشقة لسانك فانك بهذا تكون متكبرًا مهذارًا لا واعظًا متواضعًا قال بطرس الرسول كونوا مستعدين في كل حين لمجاوبة من يسالكم عن الكلام من اجل الرجاء الذي هو فيكم ١ بط ٣ : ١٥ فكما اننا نلتزم ان نكون مستعدين الى ان نجيب عن رجاء ايماننا كذلك يلزمنا ان نتهيا في الخطاب الى الاجابة عن ثمرة ايماننا التي هي الخلاص لان غير المتهيء في خطابهِ يكون مضطربًا مشككًا في كلامهِ قال الرسول الذي هو متشكك يشبه امواج البحر التي تزجها الرياح وتحولها يع ١ : ٦ هذه حالك يا ايها الواعظ اذا كنت غير متهيء فانك تكون ماشيًا في عقلك مشية السرطان مقبلاً مدبرًا معًا منقسمًا ما بين رايين لا تدري ايهما الاصوب واذا كان

الواعظ ذا راءيين فهو مضطرب في جميع طرقهِ يع ١ : ٨ وهذا عار
عظيم يحدثهُ عدم التهيوء وهذا التهيوءُ يلزمك لثلثة اسباب اولاً لانك
بمقدار استعدادك يكون مقدار راحتك واتساعك في وعظك
ويجول جواد معانيك في فساحة ساحة ميدان كلامك وتنسكب
عليك المعاني انسكاباً مدراراً حتى تقول حسبي حسبي فتنطلق من
قوة الى قوة مز ٨٤ : ٨ ثانياً لانهُ بهذا التهيوءِ يظهر مقدار غيرتك
ورغبتك في تخليص الانفس كما قال المرتل وفي هذ يذي تتقد النار
مز ٣٩ : ٥ وتكون متشبهاً بيسوع الذي تهيأ الى الموت ومات من
اجل خلاص النفس وليس هو بكثير عليك اذا تهيأت من اجل
خلاصها بالكلام فمن ثم يلزمك الاهتمام الى ذلك التهيوءِ الدقيق
المتواتر وانت تقول مع الرسول كل يوم كان اهتمامي بامر الجماعات
كلها ٢ كو ١١ : ٢٨ ثالثاً لانك بالتهيوء تنجو من فلتات اللسان
وعثراتهِ التي ليس لجرحها جبار لان طعن اللسان امضى من طعن
السنان فتنبه وكن يقظاً واعلم بانك وانت في منبر الوعظ تحدق
بك حساد كثيرون لابسون جلود الحملان والمعزى وهم في الباطن
ذئاب خاطفة لا سيما المدعين بهذه الصناعة الشريفة يتظاهرون
بانهم يسمعون وعظك ولكنهم في الباطن ذئاب مفترسة يترصدون
عثراتك كما كان الكتبة والفريسيون يترصدون المسيح في وعظهِ
مت ٢١ : ٢٢ فاحذرهم يا ايها الواعظ لان الحسد قد اذابهم كما
اذاب قبلهم كهنة اسرائيل حسداً للمسيح الواعظ الحقيقي ولهذا

كانوا تارة يطارحونهُ بالسوالات المشكلة ليصطادوهُ وتارة يرسلون اليهِ جواسيس منشبهين بالصديقين ليصيدوهُ بكلمة ليسلموهُ الى الروساء لو ٢٠ : ٢٠ وتارة يرسلون اليهِ شرطاً ليمسكوهُ يو ٧ : ٣٢ وتارة يثلبون عملهُ وتعليمهُ واما هولهُ المجد فكان يقهرهم بالسكينة ويكيدهم بالصبر والتواضع قائلاً لهم تعليمي ليس هولي بل للذي ارسلني وكان يتجنبهم كثيراً لئلا يعطيهم مادة للحسد فكن انت هكذا يا ايها الواعظ وتشبه بابيك الذي اقامك في هذه الوظيفة وداوِ الغضب بالصمت والشهوة بالعقل فانك ان تجنَّبت مثل هولاء واتقنت شرط التهيوء تنجو من غائلة حسدهم وانتقادهم الظالم وتعنتهم المفتري وتعيش ما بين هذه الاشواك ببهجة عرضك وصيتك كما يعيش الورد بين الشوك ولا يتاذى منهُ ولهذا يقول المرتل صالح هو الرجل الذي يدبر كلامهُ بالعدل فانهُ لا يتزعزع الى الابد ولا يخشى من السماع الخبيث مز ١١٢ : ٥ فليس هذا العدل الاَّ التهيوء الواجب عليك ان تصنعهُ من باب العدل يا ايها الواعظ فاذ قد تقدر عندك نفعهُ وفائدتهُ فقل مع المرتل تهيات ولم انعربس مز ١١٩ : ٦٠

الفصل السادس

في درس الواعظ الكتب الروحية

ان درس الكتب الروحية المناسبة للوعظ تلزم للواعظ جدًّا

لانها هي سلاحهُ في جدالهِ وجلاده وكما ان النطق يلزمهُ العقل واللسان هكذا الواعظ يلزمهُ درس الكتب الالهية والكتب الروحية وايضًا كما ان العقل الزم في ان يجعل الحيوان انسانًا هكذا الكتب الالهية المقدسة فان درسها الزم في ان يجعل الانسان واعظًا فيلزم الواعظ قبل كل شيء ان يواظب على درس الكتاب المقدس اي العهد القديم والحديث لاسباب منها اولاً ليختار منهُ الشهادات المناسبة لوعظهِ ويجعلها الاصول في تعليمهِ ثانيًا ليستعير منها بعض تشابيه وامثلة واخبار يضمن فيها مقاصدهُ ليستعين بها في وعظهِ. ثالثًا ليوسس وعظهُ على كلام الله اولاً لانهُ اذا اسس وعظهُ على صخرة كتاب الله كان كلامهُ متينًا مكينًا لانهُ جبل سمين جبل مجبن مز ٦٧: ١٥ فيلتزم السامعون ح تصديقهُ والتسليم بهِ ضرورة لان كتاب الله حق وهو اصدق القائلين فلا يرتابن احد بالواعظ بانهُ يقول شيئًا من عنده. واذا قال يلزمهُ ان يسندهُ بنصوص الكتاب المقدس وبتعليم الاباء القديسين الصحيح هكذا كان يفعل يسوع في وعظهِ مع انهُ هو الله حقًا رب العهدين وروح المسيح هو الناطق في الكتب المقدسة وفي الانبياء القديسين لانهُ ان كان احد ليس فيهِ روح المسيح فليس هو من حزبهِ رو ٨: ٦ ولهذا تراهُ لما اراد ان ينفي الطلاق اثبت ذلك من الكتاب المقدس حين قال ان الله منذ البدء خلقهما ذكرًا وانثى ولذلك فليترك الرجل اباهُ وامهُ ويلصق بامرأتهِ ويكون كلاهما جسدًا واحدًا مر. ١٠: ٦ ولما

اثبت قيامة الموتى استشهد بما قال الله لموسى في سفر التكوين اني انا
الله اله ابائك اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب مت ٢٢ : ٣٢ ولما
جادل ابليس مجربهُ رد عليهِ بما قالهُ في سفر الاشتراع للرب الهك
تسجد ولهُ وحدهُ تعبد لو ٤ : ٨ ولا تجرب الرب الهك وليس بالخبز
وحدهُ يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله مت ٤ : ٤ ولما
استعمل التلميح من جهة خيانة يهوذا الذي سلمهُ اثبت ذلك بما
قالهُ في سفر المزامير الذي اكل خبزي رفع عليَّ عقبهُ يو ١٣ : ١٨
ولهُ شهادات كثيرة اخذها من الكتاب المقدس نحو من ستين
شهادة ليثبت بها تعليمهُ لليهود ولهذا امرنا قائلاً فتشوا الكتب لانكم
تظنون ان لكم فيها حيوة الابد فهي تشهد من اجلي يو ٥ : ١٨
اتاملت يا ايها الواعظ كيف ان الله نفسهُ ينصحك بتفتيش الكتب
ودرسها لتشهد لصحة تعليمك في يسوع الذي لنا فيهِ حيوة الابد
فان درسك الكتب يكون بمقدار رغبتك واجتهادك في وظيفتك
قال المرتل احببت ناموسك يارب فهو طول النهار تلاوتي مز ١١٩ : ٩٦
ارايت رغبة النبي في ناموس الله حتى حملتهُ على ترك اشغالهِ ليدرس
فيهِ النهار كلهُ وكذلك الخصي الذي اخبرنا عنهُ الكتاب المقدس
بانهُ لما كان مسافرًا في مركبة لهُ كان مكبًا على درس كتاب الله
اع ٨ : ٢٨ ولم تمنعهُ مشقة السفر عن التلاوة وهذا الدرس قادهُ
الى الايمان بالمسيح فمن ثم كان الواجب عليك يا ايها الواعظ ان
تنعكف على درس الكتب الروحية دايمًا لتجني من رياضها

اثمار الحيوة لك ولمن يسمع تعاليمك ولا تتكل على عقلك واختراعات
تصانيفك فان هذا راي بشري لا روح فيهِ واقتدِ بيسوع اساس
وظيفتك الذي لم نجد لهُ عظة خالية من شهادات الكتاب المقدس
فانظرهُ حين دخل مجمع اليهود في الناصرة يوم السبت ولما اراد
ان يعظ اليهود تقدم فتناول اولاً كتاب اشعيا ليثبت لهم منهُ
حقيقة مجيئهِ لو٤: ١٦ وقد كان يمكنهُ من حيث انهُ مملو حكمة الهية
ان يعظ بديهًا فلم يرد لكي يعلمك يا ايها الواعظ ان تعمل مثلهُ
وقد نرى ايضًا الرسول يحث تلميذهُ على الدرس قائلاً لهُ واظب
على القراءة الى حين قدومي وعلى الموعظة والتعليم ا تي ٤: ١٣ فقد
قدم الرسول هنا درس الكتب على التعليم وجعلهُ لهُ علة ولم يكتفِ
بهذا فقط بل انهُ اخذ يحثهُ ويحرضهُ على الاجتهاد فيهِ لفائدة نفسهِ
والسامعين لهُ اذ قال واجتهد لنفسك وتعليمك مهتمًا فانك ان
تفعل ذلك تخلص نفسك والذين يسمعونك فاية حجة يوردها
الواعظ بعد هذا في عدم درس الكتب المقدسة الالهية والروحية
التي من تعليم ابائنا القديسين فان قلت اولاً لا احتاج الى درس
لكوني حافظًا اشياء كثيرة مناسبة للوعظ اجبتك ان هذه هي
الضلالة الكبرى الناتجة من الكبرياء والاعتداد بالذات وقد تقدمنا
بالتنبيه عليها الى الان وقد قال بعض الفضلاء راس الكفر كراهة
التعليم. ادرس فتعلم ان كنت مومنًا ثانيًا ان قلت انهُ لا كتب لي
لادرس فيها اجبتك بع ثوبك واشترِ لك سيفًا لو٢٢: ٣٦ لان

الكتب هي سيف الواعظ وبدونها لا يمكنهُ الحرب والقتال فلماذا تجندت لهذه الوظيفة اليس لتعظ من كتاب الله وقد يسيه فبع ما يعزّ عليك وابتع لك كتبًا لتكون كاملاً في وظيفة كاملة ثالثًا ان قلت ان السامعين قليلون لا يحتاج في وعظهم الى درس كتب اجبتك وهذا حقيقة كسل منك فان كنت تكسل في الامور الخفيفة فما ظنك في الثقيلة وقد سمعت ان الخائن في القليل خائن في الكثير لو ١٦: ١٠ ان الحداد لا يستغني عن النار ولو اراد ان يطرق مسمارًا واحدًا صغيرًا رابعًا ان قلت انني لا افهم الكتب اذا درست اجبتك لماذا اخذت وزنة سيدك فقد كان الاوفق لك ان تضع فضة سيدك على مائدة ليأتي فياخذها مع ربحها من غيرك لو ١٩: ٢٣ فلا عذر لك بعد ان تحققت ان الدرس لازم لك في وعظك وتعليمك ويشهد بصحة ذلك اجتهاد تلميذ الرسول الذي كان منذ صباه مكبًا على درس الكتب كما يخاطبهُ الرسول قائلاً لانهُ انك من صبائك تعلمت الاسفار المقدسة التي تقدر ان تحكمك للخلاص بالايمان الذي بيسوع المسيح ٢ تي ٣: ١٥ فبدونها اذًا لا حكمة ولا خلاص لان كل كتاب أُوحي بهِ بالروح من قبل الله مفيد للتعليم والتوبيخ والتقويم والتاديب بالبر. حقًّا ان الواعظ الذي فيهِ غيرة الله ينتبه اذا سمع من الرسول هذه التنبيهات ومن لا يكون مجتهدًا على درس الكتب يدلنا اولاً على انهُ غير معتنٍ بنموهِ ووظيفتهِ قال القديس اتناسيوس من يهمل درس الكتب الروحية لا يستبعد مضرتهُ وعدم نموهِ

ثانيًا انهُ لا يمكن ان يصلح ذاتهُ ولا وعظهُ اذا كان فيهِ نقص لكون
الكتب مرآة نرى فيها وبها نقائصنا قال القديس غريغوريوس
الكبير ان الكتب الروحية مرآة بازاء انفسنا نرى فيها امورنا الباطنة
ثالثًا ان الذي لا يدرس الكتب الروحية ليعظ الشعب يكون
متكبرًا معتدًا برايهِ وعقلهِ وعلمهِ كما قلنا فهذا انما يُعدُّ واعظًا جاهلًا
ليس فيهِ روح التعليم ولا هو مقتدٍ بيسوع معلمهِ ولا برسولهِ الذي
قال ان بشركم احد بخلاف ما بشرناكم بهِ فليكن محرومًا غل ١ : ٩
لان واعظًا مثل هذا لا يكون طالبًا في وعظهِ مجد الله ورضاهُ
بل مجد ذاتهِ ورضى الناس فلهذا كانت عظتهُ ضلالة وكذبًا اعاذك
الله من هذا يا ايها الواعظ المحق . قد قال بعض الحكماء للانسان
عقل ومنطق فبالعقل يستفيد وبالنطق يفيد فاستفد اذًا من
معاني الكتب وافد السامعين في الوعظ بما استفدتهُ فادرس اذًا
الكتب الروحية قبل تاليف وعظك وعين الاماكن التي تريدها
ليسهل عليك ضمها وتاليفها عند ما تكتب مقالتك واعمل كما يعمل
لاعب الشطرنج فانهُ يضع اولًا كل قطعة في بيتها ثم يبرز الى
خصمهِ وقد قلت اولًا واقول ثانيًا ان الكتب الروحية سلاح
الواعظ فكما ان الجندي اذا كان في الحرب بغير سلاح لا يامن
من خطر القتل هكذا الواعظ اذا كان بلا سلاح الكتب المقدسة
لا يامن من خطر الغلط لا سيما اذا كان الحساد محدقين بك
يرصدونك ليصطادوك كما قلت لك سابقًا مثلما كانوا يرصدون

المسيح قبلك وكما ان الطائر لا يمكنهُ الطيران بغير جناحين هكذا الواعظ فلا يمكنهُ الوعظ بغير جناحي الكتب المقدسة والكتب الروحية فتجرّ سفينة وعظك يا ايها الواعظ من الواح كتب آبائنا القديسين وعلماء الكنيسة المقدسة وسمرها بمسامير كتاب الله العزيز الاشرف فتسير حينئذٍ في سفينتك آمنًا مطمئنًا اضرب الصخرة مرتين فتجري لك منها المياه عد. ٢ : ١١

الفصل السابع

في معاشرة الواعظين المحققين وفي التمرين في صناعة الوعظ

من يريد ان يتعلم صناعة الوعظ يلزمهُ اربعة اشياء الاول يلزم الذي يتخذ صناعة الوعظ ان ينتخب لهُ مرشدًا ماهرًا في هذه الصناعة ويكون فيها حكيمًا واستاذًا نقادًا ليريهُ شروط هذه الصناعة الدقيقة ويبين لهُ آلاتها اللازمة في اتقانها ويوضح لهُ كل شيء من حركاتها كما قيل جالس العلماء تسعد ومن يريد ان يتعلم مهنة فلا يمكنهُ الوصول اليها من غير معلم يريهِ اصولها ودقائقها هكذا حال من يريد ممارسة صناعة الوعظ فلا يمكنهُ التوصل الى غايتها ما لم يكن لهُ فيها مرشد وبمقدار ما تكون المهنة دقيقة بمقدار ذلك يلزمها مرشد ماهر هكذا الوعظ فانهُ صناعة دقيقة جدًا فلهذا يلزمها مرشد حكيم تامٌّ بالعلم والعمل قال القديس يوحنا السلمي قبل دخولنا في ذلك ينبغي ان نفتش من نريدهُ ان يسوسنا ونفحص

اخلاقهُ لئلا نسقط عند نوئي كانهُ مدبر سفينة وعند مريض كانهُ
طبيب وعند سقيم بادواء عزمهِ كانهُ ناجٍ منها وفي لجة كانها في
مينا فنصادف لانفسنا غرقًا معدًّا اي انهُ يلزمك في هذه الصناعة
ان تختار لك معلمًا ماهرًا بالعمل اكثر من العلم يكون مملوًّا اتضاعًا
وحكمة الهية لانهُ اذا كان غير حافظ شروط الوعظ فتذهب ايام
عفافك معهُ هدرًا بلا تعلُّم او كان مغلوبًا للالام لنفسهِ ولشهواته
متكبرًا عاتيًا فظًّا غليظًا وغريبًا من السيرة الصالحة . فمثل هذا
ولو كان معلمًا ماهرًا في صناعة الوعظ فهو يضرك كما يضرك الجاهل
قال الحكيم لا تسلك مع الرجل الاثيم لئلاَّ تتعلم سبلهُ وتقع في عثرة
نفسك امثال ٢٢ : ٢٥ لانك تتخلق باخلاقهِ المعوجة فتظنها
صوابًا فتعود تنتصر لهُ وتؤيد غلطهُ قال المثل الساير اكبر الاوزار
تزكية الاشرار فيصير عثرة لنفسك لا تستفيد منهُ غير العجرفة
والصلف وتظن ان هذا واجب للواعظ ليزيد كرامة واحترامًا
كما سمعت منهُ واخذت عنهُ وفاتك وفاتهُ ان الكرامة في الاتضاع
والاحترام في الوداعة اجارك الله من معلمٍ هذه صفاتهُ فخير
لك ان لا ترافقهُ كما كان خيرًا ليهوذا الأبرافق اليهود ويسلم رب
المجد فدع معلمًا مثل هذا ولو كان علَّامة لئلا يكون لنفسك عثرة
الهلاك الابدي لان بعد الاحمق خيرٌ من قربهِ وسكوتهُ خيرٌ من
نطقهِ واختر لك مرشدًا حكيمًا روحيًا راضعًا حليب التواضع
والافراز فانهُ يرشدك ارشادًا تامًّا واذا دخلت تحت يد ارشادهِ

فاطعةً في كل ما يريكهُ قال القديس باسيليوس انهُ اذا اراد احد في العالم ان يتعلم مهنة ليقوم بشان نفسهِ فيتتلمذ لمعلم ماهر فيها ويتامل في حركة يديهِ ويطيعهُ بما يقولهُ لهُ ولا يضادهُ في شيء ولا يحكم عليهِ ولا يدينهُ ولا يطلب منهُ لماذا يامرهُ بهذا فانهُ على هذا المنوال يحصل معلمًا ماهرًا في تلك المهنة هكذا قال الرسول لتلميذهِ اثبت على ما تعلمت وائتمنت عليهِ فقد علمت ممن تعلمت ٢تي ٣ : ١٤ ومن المعلوم انهُ تعلم من بولس امام الواعظين علمًا وعملاً ولهذا صار حكيمًا لانهُ من شفتي الحكيم توجد الحكمة امثال ١٠ : ١٣ هكذا حزب التلاميذ الاطهار فانهم لما تتلمذوا للسيد المسيح اكتسبوا اولاً من كمالهِ واعمالهِ وتعاليمهِ ثم حصلوا اخيرًا على وظيفة البشارة والوعظ ولما رجع كثيرون من تلاميذهِ الى ورائهم منفصلين عنهُ حين جبنوا من كلامهِ قال للاثني عشر لعلكم تريدون المضي ايضًا فاجابهُ بطرس قائلاً الى من نذهب يا سيد وكلام الحيوة الدائمة لك يو ٦ : ٦٨ فانتخب لك مرشدًا على هذه الصفة حتى اذا راودك على الانفصال منهُ تقول لهُ كما قال بطرس لمعلمهِ

الثاني ينبغي لهُ ان يعاشر الاقوياء في صناعة الوعظ ويسمع وعظهم ويتامل في تراكيب كلامهم وحركات ايديهم وصوتهم فامعن النظر يا ايها الواعظ المتعلم في هذا كلهِ مدققًا وتأمل كيف يجولون بنظرهم ولفتاتهم وكيف ابتداؤُهم في الاقسام وانتهاؤُهم وكيف يكون ختام كلامهم واتخذ منهم ما كان الاحسن لان المناظرة توذن بالمماثلة

قال افلاطون ان الحديد اذا لمس المغناطيس اكتسب منهُ القوة الجاذبة فيصير يجذب حديدًا اخر مثلهُ هكذا انت فانك اذا تاملت في اوضاع الواعظين الحكماء وعاشرتهم في وعظهم تكتسب منهم ما تراهُ فيهم من لوازم صناعتك كما يقول الحكيم من يعاشر الحكيم يكون حكيمًا ام ١٣ : ٢٠ اي ان عاشرت واعظًا حكيمًا صرت مثلهُ وكن كالنحلة التي اذا حطت على الزهرة تاخذ منها الذها واذكاها اي لا تقلد الواعظ الذي تعاشرهُ الا بما تراهُ فيهِ من الحركات المناسبة التي تحرك السامعين الى الرغبة وما كان غير مناسب فاطرحهُ عنك اذا كان الشمع لينًا انطبع فيهِ من نقش الختم ما كان بينًا كن انت لينًا بحرارة الرغبة فينطبع فيك كلما تراهُ في الواعظ من الامور المناسبة وسوف ياتي الكلام على هذا المعنى مليًا في الفصل التاسع من القسم الثالث هنا واما الواعظ المذموم السيرة والمتكبر العاتي فاحذرهُ وتجنب مخالطتهُ والنظر اليهِ بالكلية لئلا تستقي عوض الماء القراح ماء زعاقًا لان خليل المرء دليل عقلهِ فلا تاكل معهُ ولا تشتهين اطعمتهُ ام ٢٣ : ٦

الثالث السوال . اي كن متضعًا مستفيدًا واسال وفتش عما يفيد في صناعة الوعظ ولو كان الذي تسالهُ دنيًا حقيرًا كما سال داود الملك ذلك الصعلوك المصري الدني حتى دلهُ على الغزاة الذين كانوا نهبوا مالهُ وعيالهُ واستردهم ١ صم ٣٠ : ١١ فاسال انت هكذا فتهتدي وتصير حكيمًا وان عزعليك المرشد والعشير

المناسبان فادرس في الكتب المولفة في صناعة الوعظ فانها تهديك هداية كبرى

رابعًا اذا تممت يا ايها المتعلم الشروط الثلثة المقدم ذكرها هنا يلزمك في هذا الشرط ان تستعمل التمرُّن وهو انك تمارس بالعمل ما تعلمتهُ بالنظر لان النظري خلاف العملي بالممارسة ان المهنة تراها هينة في النظر ولكن اذا باشرتها بالعمل تراها عسرة جدًا ما اكثر العوام الذين يستهونون رتبة القداس لانهم يرونها كل يوم فاذا صار احد منهم كاهنًا وباشرها بالعمل يراها عسرة عليهِ جدًا وذلك الذي كان يراهُ من قبل هينًا صار الان عسرًا عليهِ في العمل ويلزمهُ لهُ مرشد وايام ليحفظهُ كما يجب. ان بطرس الرسول لما راى الرب ماشيًا على الماء استهون ما راهُ وطلب المشي مثلهُ فلما مشى ورأى تراكم الامواج صاح وكاد يغرق مت ١٤ :٢٨ وقس على هذا الاسلوب حكم الفضيلة فاذا سالت العالم الفيلسوف ما هو التواضع ذكر لك ما لاحدَّهُ وتعريفهُ واقسامهُ ودرجاتهِ وعلاماتهِ واسبابهُ واتسع في ذلك اتساعًا عظيمًا فاذا امتحنتهُ بفضيلة الاتضاع بالعقل تراهُ جاهلاً غشيمًا فيهِ بالكلية لا يدري منهُ شيئًا فتكون العجوز الغشيمة المتواضعة اعلم منهُ في فضيلة الاتضاع وهو العالم الفيلسوف اذ كان ذاك انما يعرفهُ بالنظر وهذه تعرفهُ بالعمل ومن المعلوم ان العملي حقيقي والنظري خيالي ومن هنا يصدق المثل السائر ان الفلاح المتواضع خير من الفيلسوف

المتكبر ولهذا قال السيد للكتبة والفريسيين الحق اقول لكم ان العشارين
والزناة يسبقونكم الى ملكوت الله مت ٢١: ٣١ وهذا الحكم جارٍ في بقية
الفضائل والرذائل ومن ثم يلزمك يا ايها المعلم ان تمارس في ابتدائك
صناعة الوعظ بالعمل لتتمرن بذلك ويلزمك في اول مباشرتهِ ان
تعظ في القرى الحقيرة ما بين اناس سادجين اولاً لانك لا تهابهم
لعلمك ان ليس فيهم عالم ولا منتقد وثانياً لانك اذا غلطت في
وعظك او نسيت منهُ شيئاً او اخللت بالصناعة لا يعرفون ولا
يتنبهون لذلك وكن بمنزلة الذي يتعلم السباحة فانهُ اولاً يدخل
في رقراق الماء فاذا تمهر يلقي بنفسهِ في اللجة ولا يخاف الغرق هكذا
انت فاذا تمهرت في صناعة الوعظ على الفلاحين والغشماء فادخل
حينئذٍ المدن والكنائس العظيمة وارفع فيها صوتك غير متهيب
احداً لانك متى هبت السامعين في اوائل وعظك وخفت
سطوة المنتقدين تمكن منك الوهم وهلع القلب وانهدمت حياتك
كلها وهيهات ان تعود فتتقدم في وعظك الى قدام وهذا من
المجربات لان الخوف الذي يكون قد سكن القلب يتسع في العقل
فيفسد جميع آلاتهِ وقواهُ ومن ثمَّ نرى العسكر متى انكسر امام
العدو لا تعود لهُ جراءة في ان يرجع فيواجه عدوهُ ايضاً ودواء
هذا الداء العضال هو انك متى قمت في مقام الوعظ لا تعد السامعين
الا مستفيدين فقط من كبيرهم الى صغيرهم وانهم كلهم محتاجون
اليك لتفيدهم فلا تعتبر مكاناً ولا زماناً ولا شخصاً ولا كثرة ولا

اراكنة ولا روساء ولا علماء ولا واعظين لانهم جميعًا يطلبون منك الفائدة ليبنيان نفوسهم اسمع الرسول يشجعك قائلاً نادِ بالكلمة واقم بما انت فيهِ مجتهدًا في وقت ذلك وفي غير وقتهِ وبخ واسال وونب بكل الاناة والتعليم ٢ تي ٤ : ٢ وما احسن ما قالهُ النبي في هذا الصدد ارفع صوتك ونادِ بحنجرتك ولا تشفق على حلقك ووبخ آل يعقوب واكشف نفاق اسرائيل وهذا لا تبلغ اليهِ الا بهذه الشروط اسأل تُعطَ اطلب تجد اقرع يُفتَح لك

الفصل الثامن

في اتكال الواعظ على الله في وعظهِ

ان الاطباء الجسدانيين الانقياء اذا عالجوا مريضًا يعالجونهُ بالادوية المفردة والمركبة وبباقي لوازم صناعتهم وهم متكلون على الله لا على علاجهم في شفاء ذلك المريض لانهم هم وادويتهم آلة في الشفاء واما الفاعل فهو الله وحدهُ وخلاف ذلك ضلالة هكذا حالك يا ايها الواعظ والطبيب الروحي فانهُ يلزمك في علاج المرضى بالخطايا ان تتكل في شفائهم بالتوبة على الله وحدهُ لا على ذاتك وصناعتك وآلاتك واطلب منهُ تعالى ان يساعدك في تراكيب الادوية الروحية التي تريد ان تقدمها الى المرضى بالروح فان كان هذا الاتكال نفسهُ يلزم الاطباء الجسدانيين فما اكثر لزومهُ في الاطباء الروحيين فالواجب عليك في وعظك يا ايها الواعظ

ان نفيم ذاتك ووسائطك آلة في يد الله يعالج بها النفوس المرضى
بالخطية وخلاف ذلك ضلالة كبرى قال الرسول الالهي هكذا
ثقتنا بالمسيح عند الله ليس باننا نقدر ان نرى رايًا من قبل انفسنا
لكن قوتنا هي من الله الذي اهّلنا ان نكون خدامًا للميثاق الجديد
٢ كو ٣ : ٤ فضع ذاتك ناحيةً يا ايها الواعظ والله سبحانهُ يتقدم
بواسطة وعظك الى شفاء الانفس. خبّرنا الكتاب المقدس ان اناسًا
من اليهود كانوا يعزمون على الشياطين باسم الرب يسوع فاجابهم
الروح الخبيث قائلًا اما يسوع فانى بهِ عارف وبولس فانا بهِ عالم
واما انتم فمن انتم ثم وثب عليهم ذلك الرجل الذي كان فيهِ الروح
الخبيث وقوى عليهم وقهرهم ففروا عرايا مهشمين اع ١٩ : ١٥
فهذا عينهُ يقولهُ لك الروح الخبيث الساكن في الخاطي اذا لم تتكل
على الله ترجع في وعظك بلا ثمرة بل مهشمًا من روح الكبرياء
الخبيث فيلزمك اذًا ان تتكل على الله في وعظك لهذه الاسباب
اولاً لتعرف ان قوة الله هي الفاعلة كما تقدم بيانهُ في النص
الرسولي لئلاً تتدنس بشارة الانجيل المقدس بدنس راي بشرى
فتفسد حينئذٍ ثمرة الوعظ وترذل اذا جنتها يد الحكمة البشرية
التي قال الله فيها اني ابيد حكمة الحكماء وارذل فهم الفهماء اش ٢٩ :
١٤ لكونهِ تعالى جعل حكمة الحكماء جهالة وسفاهة لانهم اتكلوا
عليها لا على الله ولهذا يقول الرسول ان هذه الاشياء التي ننطق بها
ليست تعليم كلام حكمة الناس بل بتعليم الروح ١ كو ٢ : ١٣ فكانهُ

يقول ان ما نكلمكم بهِ من جهة التعليم ليس هو لنا بل هو لله فقط وانما نحن خَزَنة اسرارهِ يقول البشير مخبرًا عن يسوع كان يُظَن بهِ ابن يوسف لو ٣ : ٢٣ وليس الامر كذلك بل هو ابن الله حقًا المساوي لابيهِ في الطبيعة والذات والجوهر هكذا ثمرة الوعظ في الخاطئين التائبين فلا تظن بها انها من قوة وعظ الواعظ . ان هذا الأنفاق وغلط محض بل هي من قوة الله القادر على كل شيء الفاعل في وعظ ذلك الواعظ المتكل هو عليهِ فان قصدت هذه الثمرة في وعظك فكُن متكلاً على الله فتكون حينئذٍ قد جعلت الله الفاعل لا نفسك وما يفعلهُ الله يثمر وما تفعلهُ انت متكلاً على قوة وعظك يفسد فتكون بمنزلة من يفرغ ماء في حوض مثقوب هكذا يقول رب الجنود اجعلوا قلوبكم على طرقكم انكم بذرتم كثيرًا واستغللتم قليلاً واكلتم ولم تشبعوا وشربتم وما سكرتم واستترتم ولم تسخنوا والذي جمع الاجور جعلها في كيس مثقوب حج ١ : ٥ انتبه الى ما يقولهُ السيد لهُ المجد ان الغصن لا يطيق ان ياتي باثمار من عندهِ ان لم يثبت في الكرمة انا هو الكرمة وانتم الاغصان ومن يثبت فيَّ وانا فيهِ ياتي باثمار كثيرة لان بغيري لا تقدرون ان تعملوا شيئًا يو ١٥ : ٤ هل من تقرير اوضح من هذا يلزمك يا ايها الواعظ ان تتكل على الله في وعظك لا سيما حين يتهددك الله قائلاً ان لم يثبت احد فيَّ يُطرَح خارجًا يعني ان لم تثبت في الاتكال على الله رذلت انت وتعليمك فالثمار التي اينعت من وعظك التي هي

تخليص الانفس ليست لك لانك لست الاَّ غصن اي آلة بل هي للاصل الذي هو الله الفاعل وحدهُ

ثانيًا لتظهر قوة الله التي يظهرها فيك اذا اتكلت عليهِ يا ايها الاناء الضعيف ان بطرس سهر الليل كلهُ في صيد الحيتان ولم يصد شيئًا لانهُ كان متكلًا على صناعتهِ ولما قال لهُ يسوع القِ شبكتك فاتكل عليهِ بقولهِ لهُ انا بكلمتك نلقي الان الشباك ثم القاها وصاد سمكًا كثيرًا فمن ثم عرف بطرس ضعفهُ فصرخ نحو يسوع قائلًا ابعد عني يا سيد لاني رجل خاطي لو ٥ : ٤ لماذا لكونهِ اتكل اولًا على ذاتهِ وصناعتهِ هكذا انت فانك اذا القيت شبكة وعظك متكلًا على صناعتك مثل بطرس فلا تصطاد ولا نفسًا واحدة وان القيتها متكلًا على الله تصطاد نفوسًا كثيرة

ثالثًا لكي تعرف انك تلميذ في خلاص الانفس لا معلم. فاذا كان المعلم حاضرًا يلزم التلميذ ان يكون خادمًا لهُ في صناعتهِ والمعلم يتصرف بهِ كيفما شاء ويلزم التلميذ ان يزيد فرحًا اذا راى معلمهُ ممدوحًا من قِبَل اتقان صناعتهِ فهذا حالك مع يسوع فكن لهُ خادمًا في وعظك لا فاعلًا وافرح بيسوع اذا رايت الانفس متخلصة بوعظك ولا تفرح بصناعتك وتنسب الخلاص اليك فان هذا نفاق جسيم وكن كما قال يوحنا الصابغ اما صديق الختن الواقف المصغي اليهِ فانهُ يفرح من اجل صوت الختن فالان هوذا فرحي قد تمَّ فينبغي لذلك ان ينمو ولي ان انقص ان الذي ياتي من فوق

هو فوق كل احد والذي من الارض هو ارضي ومن الارض ينطق والذي من السماء اتى فهو فوق الكل يو ٣ : ٢٩ تعلم الاتضاع هنا من يوحنا اعظم الانبياء واعلم بانك تراب ورماد فليس لك شيء تنسبهُ لصناعتك الا الضعف فقط واتكل على يسوع الذي جاء من السماء واقامك آلة وافرح فيهِ لانهُ فيك يصنع المعجزات

رابعًا لكيلا تفتخر في ذاتك انك واعظ مفلق اذا كنت محققًا عندك ان الله هو الفاعل فيك لا انت وانما انت آلة ملتزمة ان تتمم في يد الفاعل ما يراهُ في عقلهِ من صناعتهِ لهذا تقدم الله فقال اذا فعلتم كل شيء امرتم بهِ فقولوا اننا عبيد بطالون انما عملنا ما وجب علينا لو ١٧ : ١٠ اعني ليكن اعتمادكم في وعظكم على الله الآمركم لا على وسائطكم وصناعتكم الواجب عليها ان تتمم نية الله. ان بطرس ويوحنا لما شفيا ذاك المقعد عند باب الهيكل تعجب الشعب من صنيعهما فقال لهم الرسولان ابقوتنا ام بسلطاننا عملنا هذا كلا بل بقوة اله ابراهيم واسحق ويعقوب اع ٣ : ١٢ فليكن هذا فعلك يا ايها الواعظ اذا عملت كل ما ينبغي لوظيفتك وشفيت الانفس المقعدة الخالعة بخطاياها

خامسًا لكي ينم رجاؤُك في اتكالك على الله بفائدة وعظك وتاثيرهِ في نفوس السامعين قال الله لبني اسرائيل كل ارض تطاها اقدامكم تكون لكم تث ١١ : ٢٥ قال الانبا برنردوس في تفسيرهِ هذه الاية ان الاقدام هنا كناية عن الرجاء اي ان رجاءكم

يكون بمقدار خطواتكم فاذا اتكلت على الله كثيرًا ورجوت منهُ امورًا عظيمة فهو يفعل بواسطتك امورًا كثيرة لانهُ لا يخيب المتكلين عليهِ مز ٢٤ : ٢٢

سادسًا ليكون الله غيورًا على اتمام مجدهِ فيك اذا رآك متكلاً عليهِ فينتصر حينئذٍ لمجدهِ فيك ويتم كل املك فقل لهُ اذًا مع المرتل لا لنا يا رب لا لنا لكن لاسمك اعطِ المجد مز ١١٥ : ١ فانهُ تعالى يفرح بهذا الاتكال فيدنو منك كما انهُ يحزن بعدم هذا الاتكال فيبعد عنك ويرد وجههُ عن وعظك ولا يسمع صوت تعليمك ولا ينمي غروسهُ فيكون بغير ثمرة فكن بكل قلبك متكلاً على الرب ولا تعتمد على فطنتك ام ٣ : ٥

الفصل التاسع

في استقامة نية الواعظ في وعظهِ

لما اراد نوح ان يعرف هل نشفت امواه الطوفان ام لا ارسل الغراب ليكشف لهُ ذلك فذهب الغراب واشتغل ببطنهِ ولم يلتفت الى نية مرسلهِ فلم يعد اليهِ حتى نشفت المياه عن وجه الارض ثم اطلق بعدهُ الحمامة فعاودت اولاً وثانيًا وبفمها غصن زيتون اخضر تك ٨ : ٦ فالواعظ الذي يبتدىء بوعظهِ من غير ان يوجه نيتهُ لله الذي اقامهُ واعظًا يشبه غراب نوح الذي ذهب ولم يرجع هكذا هذا الواعظ فانهُ يذهب في وعظهِ غير ملتفت الى الله .

ذاك شغلتهُ محبة بطنهِ وهذا شغلتهُ محبة ذاتهِ ذاك شبع من جيف القتلى وهذا شبع بالوهم من محبة العالم المايت واما الواعظ الذي يوجه نيتهُ الى الله قبل ابتدائهِ في وعظهِ فيشبه تلك الحمامة المباركة التي عاودت الى نوح بعد ذهابها اذ تلك عاودت مرة بعد مرة وهذا يوجه نيتهُ اولاً ويردفها بالصلوة. ثانياً تلك عاودت وفي فمها غصن زيتون اخضر وهذا قد عاد من وعظهِ وفي فمهِ نفس خضراء بالتوبة قد خلصها من غرق طوفان الخطية فلهذا يلزمك يا ايها الواعظ ان توجه نيتك الى الله من قبل ان تبتدي بالوعظ وان تصلي سراً من قبل ان تصعد الى المنبر وتقدمها للروح القدس لينير ظلماتك وظلمات السامعين معاً ولهذا كان هذا الفصل قسمين

القسم الاول في توجه النية ولهُ ثلثة شروط الاول الحضور الالهي اي اننا اذا ابتدانا في عمل ما نستحضر الله امامنا كاننا امامهُ نعمل ذلك العمل قال سينكا الفيلسوف الطبيعي ان الذي يريد يعمل اعمالهُ حسنة يتصور بانهُ انما يصنعها امام رجل معتبر محترم هذا نفسهُ يلزمك ان تعملهُ يا ايها الواعظ عند وعظك لتكون اعمالك مستقيمة حسنة وهو ان تتصور بانك ماثل امام الله في وعظك وانهُ ناظر اليك لان عيني الرب اضوأ من الشمس وتبصران جميع طرق الناس وعمق الغمر وتعاينان قلوب البشر في مخادعها ابن سيراخ ٢٣ : ٢٨ ومثلهُ يقول كتاب ايوب ان عينيهِ على طرق الناس وتنظران جميع خطواتهم اي ٣٤ : ٢١ فاذا اعتبرت هذا

تلتزم بانك تعظ وعظًا مستقيمًا يناسب الله الناظر اليك نظرًا مليًا لكون الرب ينظر طرق الانسان ويرقب كل خطواتهِ ام ٥: ٢١ فكن اذًا كلك عيونًا في هذا الحضور الالهي مثل تلك الحيوانات الاربعة المملوة عيونًا من قدام ومن خلف وهم وقوف حول كرسي الله رؤ ٤: ٦ وهذا يدلنا على تفاقم استحضار الله امامنا لكيلا نعمل شيئًا غير مناسب لتلك الجلالة الالهية · الثاني ان الذي نصنعهُ يكون لمجد الله الاكبر لا لمجد ذواتنا وهذا هو عين استقامة النية وقد نبه الله عليهِ بقولهِ سراج الجسد هو العين فاذا كانت عينك بسيطة فجسدك كلهُ يكون منيرًا وان كانت عينك شريرة فجسدك كلهُ يكون مظلمًا مت ٦: ٢٢ قال القديسون في تفسير هذه الاية ان العين هي النية والجسد هو الاعمال فافعالك اذًا يا ايها الواعظ تتبع نيتك ضرورة كما يتبع الجسد خيالهُ فمن المحال ان يكون وعظك صالحًا مثمرًا وانت تقصد بذلك مجد ذاتك هكذا يقول الله لا يمكن لشجرة ردية ان تثمر ثمرة صالحة مت ٧: ٢٨ فلاحظ اذًا غاية وعظك بعين النية المستقيمة لمجد الله الاكبر لان كل مجد ابنة الملك من داخل مز ٤٤: ١٤ قال القديس امبروسيوس ان حسن الانسان وكمالهُ وجمالهُ ليس هو في الظاهر بل محجوب في الباطن متوقفًا على النية التي هي اساس الاعمال ولهذا لم يمدح الله الانسان لما كوَّنهُ كما صنع في باقي المكونات لان مدحهُ متوقف على سلامة نيتهِ فان كان الاصل مقدسًا فكذلك الاغصان ايضًا رو ١١: ١٦

ان النية هي الاصل والاغصان الافعال وبحسن النيات تنجح المطالب فاستقامة وعظك اذًا متوقفة على نقاوة نيتك اذا كان ما تفعله لمجد الله الاكبر. ان الفم يتكلم من فضل ما في القلب لو٦: ٤٥ وجودة الماء من جودة الارض النابع منها فاسمع يا ايها الواعظ ما يقوله الرسول ان اكلتم او شربتم او صنعتم شيئًا آخر فافعلوا كل شيء لمجد الله اكو. ١٠: ٣١ ها هوذا الله ورسوله يلزمانك بان توجه نيتك في الوعظ نحو مجد الله لتاتي في وعظك باثمار كثيرة والاَّ فانت تشبه من يلقي الزرع في الارض السباخ فتخسر البذار والغلة معًا اي الوعظ وفائدته

تنبيه ان شئت ان تحصل على نية مستقيمة تقدس بها وعظك فاحذر شيطان العُجْب لان هذا الشيطان يحارب الواعظ اكثر من بقية الشياطين لكون الوعظ تعليمًا عامًا ظاهرًا يدل على ان هناك علمًا وعملاً لكون السامعين يخالون ان فينا هذه الفضائل التي نعلم بها غيرنا وهذا طريق ممهد للعجب فان كنا معه غير منتبهين ولا حريصين يتداخلنا رويدًا رويدًا فيسرق اتعابنا ونحن لا ندري قال القديس يوحنا السلمي ان العجب مبدد اتعابنا وهلاك اعراقنا واغتيال على ذخيرتنا وغرق في المينا ونملة في البيدر لانه لطيف دميم يسرق بيدر اعمالنا الصالحة ونحن لا ندري. اياك تسهون هذا الشيطان معتذرًا عنه او متكلاً على ذاتك فانه كاللص يطرقك في ليل عدم افرازك ومحبة ذاتك في يوم لا تعلمه وساعة لا تعرفها

فيمزق اعمالك الصالحة ويجعل حظها مع اعمال المرائين لو ١٢:
٤٦ لانك ان تقلدت وظيفة الوعظ وتهاونت باستقامة النية
يندس فيك هذا الشيطان مناسبًا رويدًا رويدًا حتى يتملكك
وانت لاتدري وبيان ظهوره فيك يا ايها الواعظ من هذه العلامات
اولاً من تلذذك بوعظك وحركاتك ورشاقة صناعتك ثانيًا من
مبالغتك في التوبيخ لا سيما للنساء ثالثًا من فرحك غير المرتب في
ذاتك بعد انتهائك من وعظك رابعًا من مطارحتك بين الناس
ما قلته من النوادر في وعظك خامسًا من اصغائك الى مادحيك
سادسًا من استخبارك الناس عن وعظك سابعًا من انتقادك على
وعظك امام الناس وقصدك انهم يشكرون وعظك ثامنًا من
مذمتك وعظك امام الغير وقصدك بذلك المدحة تاسعًا من
طلبك من الناس ان يروك نقص وعظك وقصدك ان يقولوا لا
نقص فيه لكن اذا طلبت هذا من ارباب الفن في خلوة فلا باس
عاشرًا من انك اذا اخذت تعتذر لنقص وعظك تحتج عنهُ بغير
حق او تغتاظ ممن ينبهك على نقصك فاحذر هذه كلها يا ايها
الواعظ وكن متيقظًا والاَّ تجد نفسك مقفرة من كل خير عند
موتك فتكون بمنزلة تاجر كابد المشقات حتى استغنى واخيرًا غرق
في المينا قال القديس يوحنا فم الذهب ان العُجب هو الصخرة التي
لا يوجد في العالم كلهِ ارعب منها فاحذر يا ايها الواعظ من ان
تعثر بها لانها موضوعة لسقوط وقيام كثيرين من الواعظين .

الثالث ان يكون قصدك في وعظك اتمام ارادة الله ينتج من ذلك انك آلة في يد الله يستخدمك في رد النفوس الى الحق بواسطة وعظك الذي ينطق فيهِ ويحركك اليهِ وبهِ هكذا يقول الرسول انما نحن انصار الله وانتم فلاحة الله وبناؤهُ اكو ٣:٩ فلا تختص لذاتك تخليص الانفس يا ايها الواعظ بل لله وحدهُ الذي انت في يدهِ آلة فقط وكما ان الالة لا تختص لذاتها شيئًا من الصناعة بل انها تنسب الكل الى الصانع الذي يحرك الآلة متى يريد وفيما يريد هكذا انت فانك آلة والله الصانع كقول الرسول انا غرست وابلُّوس سقى لكن الله انبت فليس الغارس بشيء ولا الساقي بل الله الذي ينمي اكو ٣:٦ فمتى باشرت الوعظ فقف في ذاتك متانيًا طالبًا ارادة الله الذي لا يزال يقول لك في كل اعمالك ضعني على قلبك كخاتم نش ٨:٦ واحسب الذي تقولهُ للناس انك انت محتاج اليهِ اكثر من غيرك وكن كمن يرمي بالسهام فانهُ اذا وضع السهم في كبد القوس يتانى قليلاً ويحصر نظرهُ كلهُ في عين واحدة ليهتدي الى اصابة المرمى الذي هو ارادة الله فاذا طابقت ارادتهُ واغمضت عينك عن ارادة ذاتك وحصرت ارادة الله في العين الاخرى تكون قد اتممت ارادتك التي هي افادة السامعين من وعظك فانك بهذا تجرح قلوب السامعين بسهم ارادة الله في وعظك ولهذا تقول الحكمة الالهية اينها العروس اختي جرحتِ قلبي باحدى عينيك نش ٤:٩ لان الله لا يرضيهِ شيء مثل مطابقة ارادتهِ ومن يصنع ذلك يكون عندهُ في اعلى

درجات الكرامة كما قال كل من يصنع مشيئة ابي الذي في السموات فهو اخي واختي وامي مت ١٢: ٥٠ فاذا طابقت ارادة الله يكون الله قد امسك قال افلاطون الفيلسوف ان الذين يلمسهم الله يكتسبون منهُ قوة في ان يجذبوا غيرهم الى الله ان الحديد بارد طبعًا فاذا قارب النار اكتسب منها قوتها الحارة المحرقة والزجاج الصافي النقي اذا وضع بازاء قرص الشمس ابرز نارًا محرقة فلتكن هذه غاية توجه نيتك الى الله في وعظك فتهدي وتهتدي

القسم الثاني في الصلوة اي صلِّ سرًّا قبل وقوفك في منبر الوعظ وقدمها للروح القدس ليرشدك ذلك الروح الكلي قدسهُ الى تمام نية الله وفائدة السامعين لان كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة تهبط من فوق من عند ابي الانوار يع ١: ١٦ وذلك بواسطة الصلوة ولما كان الوعظ من اعظم عطايا الله ومواهبهِ لا سيما لانهُ وظيفة الله نفسهِ كانت الصلوة لازمة في اكتسابهِ قال القديس توما اللاهوتي ان الذي قضى الله بهِ ان يعطيناهُ من الازل قضى انهُ لا يعطيناهُ الا بواسط الصلوة لانها بمنزلة سلسلة ذهبية تهبط لنا بها الخيرات من السماء فلهذا يلزمنا قبل كل شيء ان نلتجئ الى الله بالصلوة في كل اعمالنا واحتياجاتنا فان هذه الواسطة لازمة لك يا ايها الواعظ القائم في وظيفة يسوع الذي كان يمارس الصلوة ليلاً ويعظ الناس نهارًا كقول البشير مخبرًا عنهُ انهُ كان ساهرًا في الصلوة لله لو ٦: ١٢ ولما استعد الى الالام ليعظنا من فوق منبر

الصليب وعظاً عملياً تقدم فصلّى في البستان صلوة متواترة حارة جداً نحو ثلاث ساعات حتى صار عرقهُ كعبيط الدم نازلاً على الارض لو ٢٢ : ٤٤ فتقدم انت ايضاً الى هذا الوعظ اللفظي وبيدك مجمرة الصلوة لتكتسب منها اولاً فضيلة التواضع ثانياً فضيلة استقامة النية ثالثاً فضيلة الافراز رابعاً فضيلة محبة القريب لانك بالصلوة تسبب ثمرة فائدة وعظك في نفوس السامعين وقل مع يهوشافاط ملك يهوذا اننا لا نعلم ماذا نفعل غير ان لنا خصلة واحدة وهي ان نرفع طرفنا اليك ٢ اي ٢٠ : ١٢ فارفع طرفك الى الله مبتهلاً حتى تشعر بتلك البركة التي طلبها من الله قائلاً لا اطلقك او تباركني تك ٣٢ : ٢٦

تنبيه من اتقن الصلوة العقلية يمكنهُ ان يتقن الوعظ لان القصد فيهما واحد وهو استئصال الرذيلة واستقناء الفضيلة قد خبرنا القديس برنردوس عن نفسهِ قائلاً انهُ تعلم الوعظ من الصلوة العقلية

الفصل العاشر

في تنبيهات تلزم الواعظ

هذا الفصل يتضمن عشرة تنبيهات يلزم الواعظ استعمالها اولاً يلزمك ايها الواعظ ان تبني مقالتك على مقدمة واقسام وتجعل لكل من المقدمة والاقسام شهادة مناسبة للموضوع فان كانت مواعظك مبنية على مدح فضيلة او ذم رذيلة فاجعل المقدمة بمنزلة

تعريف لذلك الموضوع وان كانت موعظتك مبنية على سر من اسرار سيرة يسوع المسيح او على سيرة احد من القديسين فاجعل المقدمة مدحًا في ذلك السر او في ذلك القديس واستنتج من المقدمة فضيلة ما مناسبة لذلك السر او لذلك القديس وابنِ عليها اقسام مقالتك ولاحظ فيها احيانًا ذلك السر او ذلك القديس وهذا يسمى في صناعة الفصاحة الالتفات وبين في آخر المقدمة معاني الاقسام التي تريدها من نتيجة المقدمة ويكون تخلُّصك من المقدمة ودخولك في معاني الاقسام منسكبًا انسكابًا رقيقًا ملائمًا وهذا يسمى براعة التخلص . الثاني قد ذكرنا سابقًا ان الاولين كانوا يبنون مواعظهم على موضوعات مختلفة وهذا يسمى الاتساع لكن هذا المذهب قد تُرِك الان عند المتاخرين وقد راوا الاصوب ان يبنوا مواعظهم على موضوع واحد ليتحقق معناهُ مليًا في عقول السامعين وهذا يسمى التخصيص او التنصيص فاذا شرعت في تاليف موعظة لمدح سر من اسرار المسيح او لقديس ما او لتقرير فضيلة او رذيلة فاجعل افتتاح مقالتك آية من الكتاب المقدس دالة على مضمون ما تقولهُ حتى اذا سمعها الحاضرون يستدلُّون منها على مضمون كلامك وهذا يسمى براعة الاستهلال وقد نرى المبشرين الاربعة صنعوا هكذا فان متى لما اراد بيان مولد طبيعة المسيح البشرية افتتح كلامهُ قائلاً كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابرهيم مت ١ : ١ ويوحنا لما اراد بيان مولدهِ من جهة الطبيعة الالهية افتتح كلامهُ قائلاً في

البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله والله هو الكلمة يو ١ : ١
ومرقس لما اراد التخبير عن يوحنا الصابغ افتتح كلامهُ قائلاً هنذا
ارسل ملاكي امام وجهك ليسهل طريقك قدامك مر ١ : ٢ وهذه
شهادة دالة على يوحنا قد اقتبسها البشير من ملاخيا النبي مل ٣ : ١
ولوقا لما اراد التخبير عن كهنوت اليهود وعن خدمتهم وقرابينهم
افتتح كلامهُ قائلاً كان في ايام هيرودس ملك اليهودية كاهن
اسمهُ زكريا لو ١ : ٥ وبولس الرسول ايضاً لما اراد ان يبرهن لليهود
عن المسيح انهُ جاء حقًّا افتتح كلامهُ في رسالتهِ العبرانية قائلاً بانواع
كثيرة واشباهٍ شتى كلم الله آباءنا على السن الانبياء من قديم الدهر
واخيرًا في هذه الايام كلمنا بابنهِ عب ١ : ١ وردد الموضوع الذي
اتخذتهُ من المقدمة في اقسام وعظك كلهِ ولا تفارقهُ واورد لاثباتهِ
الشهادات والادلة والاخبار حتى تكون موعظتك منسوجة على
منوال واحد من ابتدائها حتى انتهائها وهذا يسمى الالتزام ثم جوّد
ختام موعظتك بعبارات تناسب ما ابتدأت بهِ حتى يكون انتهاؤك
موافقًا ابتداءك وهذا يسمى براعة الختام وان قدرت فاختم كلامك
بالشهادة التي ابتدأت بها وهذا يسمى رد العجز على الصدر وما
احسن اذا اجدت الانتقال من قسم الى قسم برقة براعة التخلص
المقدم ذكرها قالت الفصحاء ان جودة الواعظ تظهر من حسن
براعة الاستهلال وبراعة التخلص وبراعة الختام . الثالث الاصح ان
تبتدي في اول كل قسم بشهادة تناسبهُ من الكتاب المقدس لا من

غيره واجعلها مادة لذلك القسم ثم اورد بعد ذلك لاثبات كلامك شهادات مناسبة من اي كتاب وقديس وعالم اردتهُ ورايتهُ يناسب موضوعك واياك ان تورد شهادات لا تناسب موضوع الكلام فانهُ عيب عظيم واحترس من التناقض في كلامك وشهاداتك لئلاّ يفسد عليك المعنى فتتورط في ورطة لامناص لك منها واذا اوردت شهادة فاجعل لها في كلامك مناسبة تستدعيها وهذا يسمى التوطئة والتمهيد حتى اذا اوردتها تنسكب مسبوكة في قرارها كوقع الحافر على الحافر فكانها مع الكلام معنى واحد لقائل واحد وهذا يسمى التمكين وهكذا افعل في الامثال والاخبار التي توردها وخلافهُ خللٌ في المعنى ويجوز لك ان تسلب من الشهادة معناها الاصلي وتضمنها معنى اخر من عندك على سبيل الاستعارة او التشبيه وهذا يسمى الايداع باليا المثناة من تحت الرابع اذا اوردت خبرًا لاثبات كلامك فضمن فيهِ بعض كلمات تناسب وعظك على جهة الحاشية زيادة في المعنى فان ضمنت الشهادة او المثل او الخبر في معنى كلامك سُمّي التضمين وان ضمنت كلامك في معنى الشهادة او المثل والاخبار سمي الادماج والانسب في الاخبار المطولة ان ترد في اواخر الوعظ واذا اوردت اخبارًا في الحشو فالانسب اختصارها برشاقة ملائمة لئلاَّ تشغل الوعظ بالاخبار ولهذا لا تكثر من ايراد الاخبار لان الفائدة متوقفة على تقرير المعنى في عقول السامعين بقوة الشهادات والبراهين والامثلة المقنعة الا اذا كان القسم منغلبًا

على اكثر السامعين فاعمل ما تراهُ انسب للحال لان الغشماء يميلون الى الاخبار والعلماء يتقصدون القياسات والادلة كقول الرسول ان اليهود يطلبون آلايات، واليونانيين يطلبون الحكمة ١كو ١: ٢٢ ولكن انت فلا يكن مرادك آية ولا حكمة بل فائدة الشعب وخلاص نفوسهم كقول الرسول اما نحن فانَّا نبشر بالمسيح مصلوبًا فان هذه البشارة هي مجموع كل تعاليم الواعظين ثم احترس من ان تورد في وعظك تعليمًا او خبرًا يقتضي توسيع الذمة او قطع الرجاء او الطمع في رحمة الله وهذا يسمى الاحتراس بل اقم السامعين دائمًا ما بين الخوف والرجاء واذا اوردت شيئًا من ذلك تلزمك ملافاتهُ وهذا يسمى الاستدراك. خامسًا تجنب في وعظك العي والالفاظ الركيكة والقليلة الادب والعبارات المضحكة التي لا محل لها واحترس من التشابيه المستهجنة والاستعارات الباردة الغليظة وهذا يسمى الركاكة ولا تكن مهذارًا في وعظك اي كثير الالفاظ قليل المعنى كقول الرسول انني حين اتيتكم يا اخوتي لم اتكلم بكثرة الكلام ١ كو ٢: ١ لانها قراقع ما تحتها طايل وقد نرى وجبة الالفاظ بلا معنى بمنزلة شجرة مورقة بلا ثمر لانها توثر في قلوب السامعين ولا تحركهم نحو الفائدة وهذا يدلنا على احد هذه الخمسة اشياء اولاً على عدم درس الواعظ الكتب الروحية ثانيًا على اعتمادهِ على عقلهِ ثالثًا على عدم حافظيتهِ رابعًا على بلادة فهمهِ خامسًا على عدم اعتبارهِ السامعين فيلزمك اذًا يا ايها الواعظ ان تناسب ما بين الالفاظ

والمعاني فلا تحصر الفاظًا كثيرة في معاني قليلة ولا معاني كثيرة
في الفاظ قليلة بل فليكن اللفظ والمعنى متناسبين وهذا يسمى
ائتلاف اللفظ والمعنى واذا كانت الشواهد والايرادات عويصة
المعنى يلزمك ان تبسط الكلام في بيانها للجميع ولو كررت المضمون
مرات ليفهم السامعون مليًا وهذا يسمى الترشيح والتبليغ . السادس
استعمل في وعظك الالفاظ المفهومة عند السامعين كلهم واسلك
مسلك العبارات المبسوطة المعنى السهلة الفهم من الرجال والنساء
حتى الاولاد واتبع عوائد البلاد في وعظك من كل جهة وكن
كالرسول القائل وصرت كلًّا للكل لاخلص الكل ١ كو ٩ : ٢٢
هذا كلهُ يلزمك يا ايها الواعظ لانك وانت قائم في منبر الوعظ بمنزلة
حية النحاس التي رفعها موسى في البرية لينظر اليها كل ملدوغ
فيشفى عد ٢١ : ٨ هكذا كن انت حتى تشفي كل من يسمعك من
سم حية الخطية فاحذر اذًا حية العجب فانها اذا لدغتك تفسد
عقلك ورايك فتصير تستعمل حواشي الالفاظ والتراكيب المعقدة
والمعاني العويصة الشاذة فيلزمك حينئذٍ لذلك ترجمان لان جنيتك
صارت تتكلم بالهندية لا بلغة البلاد واذا وُجد احد ممن يعرف ما
تفعلهُ يلتهي عن فائدة المعاني بما توردهُ من دقائق الصناعة ومن
المعاني الدقيقة التي تنبي عنك بانك عالم علامة لان هذا موضوع
مرادك فتذهب حينئذٍ فائدة الوعظ هدرًا عند الفريقين الغشماء
والعقلاء ولم يعرفوا الله لانك اردت ان تعرفهم الله بالحكمة

الباطلة ولهذا يقول الرسول لما كان في حكمة الله ان اهل الدنيا
لم يعرفوا الله بالحكمة احب الله ان يخلص المومنين بجهالة
البشرى اكو ١: ٢١ اي بالسداجة والبساطة وانما فعل الله
هكذا ليكيدك يا ايها الحكيم الجاهل ويقهرك بالبشارة الساذجة
البسيطة بواسطة اناس ساذجين بسيطين كقول الرسول ايضًا
ولهذا اختار من هو جاهل من اهل الدنيا ليخزي الحكماء اكو ١: ٢٧ اي
الذين هم جهلاء مثلك . لقد رايت قومًا لما سكروا من خمرة رذيلة
العجب وادمنوا على تعاطي كاساتها والاولى ان اقول نجاساتها بلغوا
الى درجة عدم الحس بالكلية حتى تزوجوا ابنة العجب الكبرى
فاضاعوا في عشقها تجارتهم كلها وعجبي ممن بلغ هذه الدرجة كيف
يعرف واجبات الايمان المقدس لانها ينبوع البدع والانشقاقات
فاجنح يا صاح منتبهًا واسلك في وعظك مسلك البساطة الرسولية
ولا تتظاهر بانك حكيم طالبًا مدحة الناس لان رضاك عن نفسك
هو من فساد عقلك قال الرسول ومن ظن فيكم انهُ حكيم في هذه
الدنيا فليصر جاهلاً ليكون حكيمًا اكو ٣: ١٨ اي فليصر جاهلاً
حكمة هذا العالم ليكون حكيمًا في الله وحدهُ وهذا المعنى طبق ما قالتهُ
الحكمة الالهية انا نائمة وقلبي سهران نش ٥: ٢ قال القديس
غريغوريوس الكبير اذا وعظت في البيعة فلا يسمع صراخ الشعب
بل اصوات البكاء والنحيب فدموع السامعين تكون مديحك ولا
يقولوا اذا خرجوا ما اغرب الاشياء التي اتى بها في الوعظ بل

فليخرجوا تائبين على خطاياهم لان هذا هو المراد من الواعظ والّا فكتب الشعراء وشقاشق ارتجالهم افصح من وعظك فتنبه اذًا يا ايها الواعظ لتعلم كيف ينبغي لك التقلب في بيت الله الذي هو بيعة الله الحي عمود الحق وثباته ١ تي ٣ : ١٥ وليكن وعظك مع البساطة متنسقًا مرتبًا بهذا المقدار حتى لا يمل احد من ساعهِ ولو اطالت المقام والكلام وهذا يسمى الانسجام. السابع اذا شرد عقلك عن قضية من قضايا وعظك فلك فيهِ ثلاثة اوجه اولًا اذا رايت في ذاتك اذا تعديتها ان لا يختل المعنى الذي انت فيهِ فاتركها وخذ في غيرها ثانيًا اذا رايتها لازمة في تتمة المعنى فاثبت في البحث الذي انت فيهِ واطل الكلام جائلًا بفكرك حول تلك القضية المنسيَّة متذكرًا ما وراءها من الشهادات والادلة واية شهادة فيها حتى تهتدي اليها لان الشهادات مسامير الوعظ كما قلنا وتنفعنا في مثل هذا العارض ثالثًا اذا رايت ان هذا لم يفدك ولم تهتدِ بهِ فاجعل لكلامك مناسبة بينهُ وبين ما وراء تلك القضية المنسية والحم شيئًا بشيء وعد عما نسيتهُ وهذا يسمى اللحام وسبب هذا النسيان هو عدم حفظك مسامير الوعظ عند التهيؤ ودرسها الفقة لتقولهُ فاذا اتقنت التهيؤ وحفظ الشهادات تنجو من عارض النسيان فابذل الجهد في ان تحفظ غيبًا ما كتبتهُ كما ذكرنا سابقًا وضع في مخيلتك اماكن مسامير الوعظ التي هي الشهادات والامثلة والبراهين لان الحفظ الغيبي متوقف على استحضارها في المخيلة واما الالفاظ التي تعني فيها

موضوع الوعظ ومعنى الشهادات فضعها من عندك فهي بمقتضى هواك كما مرّ معناهُ في فصل التهيو

تنبيه قد ذكرنا سابقًا انك لا تشرد في وعظك عن الموضوع الذي انت فيهِ ولكن يجوز لك ان تشرد عنهُ احيانًا معتمدًا لمناسبة ما ووقتًا ما واخصهُ وقت التوبيخ وهذا يسمى الاستطراد ويكون الشرود برقة ملايمة وهو نوع من الالتفات ثم ارجع الى ما كنت فيهِ الثامن وفيهِ نوعان اولاً اذا اوردت خبرًا من اخبار الزنا فلاحظ فيهِ الايجاز والاحتشام بعبارات لا توذي السامعين وبالفاظ لا يستحيي فيها ولا منها قايلها وسامعها وهذا يسمى النزاهة وافعل هكذا اذا وجدت النساء لئلاً يعتريهنّ الحياء والشك وتوذي الشبان وتنبه البنات فتكون المضرة اكثر من المنفعة ولا تداوم النظر نحو جهة النساء لئلاً يشك فيك الحاضرون لانك مراقب من الجميع ولا توبخ على الزنا غير الطبيعي مصرحًا بل من باب التلميح لان ذكرهُ فاحش جدًّا يوذي الجميع رجالاً ونساء والملخص من كلامنا كلهِ ان تكون خَجِلا متادبًا في وعظك على الزنا والزناة كما انك تستحي من ان تنظر امام الناس عريانًا . ثانيًا اذا كان احد السامعين مشتهرًا برذيلة تتكلم فيها فلا تنظر اليهِ ولا تشر نحوهُ لئلا يشك فيك انك معتمدهُ وتنبه الناس اليهِ وهذا شر عظيم واحذر من المضامين المنكية لبعض اناس قاصدًا نكايتهم وفضيحتهم وهذا يسمى التعريض فانك بهذا لا تكون واعظًا

بل عدوًا فلا تامن من المضرة اذا لسعتهم بحمة الملام المس الجبال
فتدخن وقد نهت العلماء عن ذلك ولا يخلو فاعلهُ المتقصد من
الاثم الفظيع وكن كيسوع معلم وظيفتك فانهُ لما اورد في بعض
مواعظهِ خبر الغني والمسكين ابان عن اسم المسكين الصالح بقولهِ
وكان اسمهُ لعازر لو ١٦: ٢٠ واما ذاك الغني الصالح فسكت عن
اسمهِ ولم يستجران يبينهُ احتشامًا وتاديبًا لتتعلم منهُ يا ايها الواعظ
فلا تعرض لاحد بخطيئتهِ ولو تحققتها كما اعرض السيد عن بيان
اسم الغني مع انهُ كان عارفًا بهلاكهِ في جهنم لكن اذا عرضت
احيانًا برذيلة توبخ عنها النفع السامعين فلا باس عليك بذلك ولو
عرفت ان هناك اناسًا حاضرين يسمعونك وهم فيها متعرقلون
التاسع التوبيخ ولهُ مراتب اولاً العتاب اي ان تعاتب الخاطي على
خطيتهِ ثانيًا المغايرة وهي ان تمدح للخاطي الخطية وتذم لهُ الفضيلة
من باب التعيير والتهكم ثالثًا تجاهل العارفين وهو انك تسال
الحاضرين عن شر الرذيلة وخير الفضيلة كانك غير عارف بذلك
وهذا النوع لهُ دخل في مواقع كثيرة رابعًا المواربة وهي ان تخابث
على السامعين بالفاظ تحتمل المدح والذم كقولك انك يا خاطي
لتستحق الرحمة بالعدل فانهُ يحتمل الكلام هنا ان ينتقم الله منهُ ههنا
وهذا وجه الرحمة او ان يهملهُ هنا بغير انتقام وهذا هو وجه العدل
خامسًا الذم في معرض المدح اي انك تمدح السامعين في افعال
مذمومة كانهم يفعلونها كشيء محمود سادسًا الهزل الذي يراد بهِ

الجد وهو انك تمزح مع السامعين كأن خطاياهم ليست بخطايا وانها لا تغيظ الله ولا يهلكون من اجلها سابعًا التهكم وهو الاحتقار بالخاطئين والازدراء بهم ثامنًا التوعد والتهديد في ان الله يعاقب الخاطي وبيّن هنا كل ما يمكنك من الارهاب والتهويل والمذمة فهذه الانواع كلها يجوز للواعظ استعمالها ايّ وقت شاء في وعظهِ ما عدا التهكم والتهديد فاستعمالها يكون بعد اثباتك الفضيلة او الرذيلة في عقول السامعين بقوة القواعد والدلائل .

تنبيه يقتضي للتوبيخ اربعة امور اولاً ان يكون التوبيخ على حسب درجة الواعظ ووظيفتهِ لان توبيخ الاسقف غير توبيخ القس وتوبيخ الرئيس غير توبيخ المرؤوس فلهذا يلزم لكل واحد ان يوبخ في وعظهِ حسب مقامهِ ثانيًا انك توبخ على الشر الحاضر حالاً لتستاصلهُ كما وبخ السيد الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائدهم مت ٢١ : ١٢ لكي يبطل هذه العادة السيئة هكذا انت وبخ على العوائد الردية الموجودة حالاً وعلى اسباب الخطايا الواقعين فيها وعلى المعاشرات وقلة الادب لا سيما جنس النساء اللواتي هنّ علة كل علّة واستعمل في توبيخك نوع الالتفات من الحاضر الى الغائب وبالعكس ومن المذكر الى المونث وبالعكس ومن المفرد الى الجمع وبالعكس وهذا حسن جدًا اذا كانت هذه الانتقالات برشاقة وظرافة ولك ايضًا ان توبخ على الشرور المستقبل وقوعها احتراسًا من وقوعها لا سيما اذا كنت عارفًا بحوادث

البلاد وبمواسم عوائدها فان الانسان الذي يعرف مزاجهُ محتاجاً
الى المداواة يداويهِ وهو في حال الصحة لئلا يستقبلهُ المرض كقول
الحكيم عالج قبل المرض ابن سيراخ ١٨ : ٢٠ فافعل انت هكذا لتنبه
السامعين وتصونهم من الغوائل التي تفاجيهم بغتة قال القديس
يوحنا السلمي اذا عرفنا هبوب الرياح من اية جهة توافينا رفعنا
بعد ذلك قلوعنا مقابلها يعني احترس من الجهة التي تاتي المضرة
منها ثالثاً ليكن التوبيخ لطيفاً ومطلياً بذهب الادب فما ارق توبيخ
ناثان النبي لداود الملك في ذلك المثل الذي ضربهُ لهُ وما اسرع
توبة داود من جرى ذلك التوبيخ المهذب المملو حكمة الهية ٢ صم
١٢ : افانك بهذا تستجذب قلوب الخطاة الى التوبة لا بالعجرفة وقلة
الادب وبالالفاظ السمجة وما احسن اذا عددت ذاتك من
جملة الخطاة الموبخين كن طبيباً لا جلاداً وكن جراحاً يشق القرحة
المتورمة ويستخرج منها المادة الفاسدة المنتنة لتشفى لا قصاباً يضرب
بساطوره بلا تمييز فيكسر العظم ويقطع الاعصاب قال الرسول
لتلميذه وبخ وونب بكل الاناة والتعليم ٢ تي ٤ : ٢ قال بكل الاناة
اي الافراز والادب ولم يقل اشتموهم واضربوهم بمقارع السنتكم الفظة
القاسية الصخرية التي شبهها المرتل بالموسى المسنونة مز ٥٢ : ٤ رابعاً
يلزمك بعد التوبيخ ان تستعمل اسفنجة الرجاء وتضع على الجراحات
التي نقيتها من عفنها اضمادات الادوية المناسبة لبرئها وتطّل الاورام
بحرارة امواه التعزية واسقهم شرابات التقوية اللذيذة المبردة بكلمات

الرجاء والتسلية كما قال الحكيم انقذ الماخوذين الي الموت ام ٢٤ : ١١
اي قوِّ منة المشرفين على قطع الرجاء وهذا يكون ختام الوعظ حتى اذا
انفصل السامعون عنك يكونون حاملين معهم الادوية التي وصفتها
لهم يا ايها الطبيب الروحي ليستعملوها في طب انفسهم . العاشر
يلزمك في وعظك يا ايها الواعظ الغيرة اي اظهر غيرة مضطرمة
جدًّا في تخليص السامعين وانك حزين متاسف عليهم من اجل
خطاياهم كانك ذلك الرسول القائل انني كنت اشتهي ان اكون
محرومًا من المسيح فداء عن اخوتي بالجسد رو ٩ : ٣ وقل ايضًا مع
المرتل ان الكآبة ملكتني من اجل الخطاة الذين اهملوا ناموسك
مز ١١٩ : ٥٣ اي انك تظهر حزنًا عظيمًا في مخالفتهم ناموس الله
وبين لهم في هذه الغيرة مقدار تفاقم شر الرذيلة التي انت محترق
حزنًا وتاسفًا من اجلها كما قال الرسول من كان يمجد ولا احترق
انا ٢ كو ١١ : ٢٩ اي يمجد ناموس الله وينكرهُ بالمخالفة لهُ فان
السامعين اذا راوا منك هذه الغيرة الحارة يعتبرونك وتعظم في
عيونهم فيصدقون ما تقولهُ ثم يعتبرون شر الخطية فيخافونهُ ويعتمدون
على انهم لا يعودون الى هذا النفاق واياك ان تتظاهر لهم بغيرة مرة
مملوة حماقة مبنية على غير اساس التقوى فان الرسول يوبخك على
مثل هذه الغيرة الحمقاء بقولهِ نعم ان فيك غيرة الله الّا انها ليست
منك بمعرفة رو ١٠ : ٢ بل غرْ بتلك الغيرة التي كانت للمرتل
القائل غيرة بيتك اكلتني وعار معيريك وقع علي مز ٦٩ : ٩ ان

هذه كانت غيرة موسى الذي قال لآل اسرائيل ليقتل كل انسان
من قومهِ من كان لحق ببعل فغور عد ٢٥ : ٥ وهذه ايضاً كانت
غيرة فنحاس بن لعازر بن هرون الحبر الذي قتل الزاني والزانية
معاً عد ٢٥ : ٨ وهذه كانت غيرة ايليا النبي الذي قتل كهنة بعل
الصنم امل ١٨ : ٤٠ وهذه كانت غيرة يسوع المسيح الذي صنع
مخصرة من حبل واخرج بها الذين يبيعون ويبتاعون في الهيكل
يو ٢ : ١٥ وهذه كانت غيرة بولس الرسول الذي ضرب اليماس
الساحر بالعمى لانهُ كان يناصب كلمة الله اع ١٣ : ١١ وهذه كانت
غيرة بطرس الذي حرم سيمون الساحر الذي كان يطلب موهبة
الروح القدس بالفضة اع ٨ : ٢٠ فاذا غرت هكذا على قتل صنم
الخطية الذي يعبدهُ الناس تحرك قلوب السامعين الى الخوف
والتوبة ثم ادهشهم بعالي صوتك المنبثق من عرش الغيرة الالهية
كالرعد الجائل في افق السحاب قال القديس يوحنا فم الذهب
في بحث تناول القربان المقدس فلنقم عن المائدة الطاهرة كالاسود
الضارية طارحين من افواهنا ناراً تروع الابالسة هكذا كن انت
يا ايها الواعظ فقم في منبر الوعظ كالاسد الضاري طارحاً من
فيك نار الغيرة الالهية لتخيف قلوب الخطاة المتصلبة بالخطية. الخلة
الثانية التي تلزمك الحرارة اي كن حاراً في كلامك وصفاتك
وحركاتك كانك نار تتقد حتى تقرع قلوب السامعين فتوثر فيها
حرارة الندامة على ما فرطوا في حق الله من الاثم والخطاء قال

القديس غريغوريوس الكبير من لا يتقد في ذاتهِ فلا يمكنهُ ان يحرق غيرهُ لانهُ لن يوجد شيءٌ يحرك الخطاة الى الندامة مثل الواعظ المتقد المتحرك في ذاتهِ بالحرارة وهذا الاتقاد عينهُ كان في بولس الرسول عند وعظهِ وحرارة رسائلهِ تشهد لهُ حتى اشتهى اغوستينوس الالهي ان يراهُ واعظاً فيلزمك اذاً يا ايها الواعظ ان تكون في وعظك حاذًّا حارًّا ليعتقد فيك الجميع انك تحب الفضيلة وتبغض الرذيلة فاذا اتممت هذه الشروط بموجبها تكون اتممت واجبات وظيفتك وتكون قد اشبهت سيدك رب وظيفتك وماثلت بولس رسولهُ امام المنذرين والمبشرين الواعظين فتمسك اذاً بما يقولهُ لك ولغيرك من الواعظين حيث ينصحكم قائلاً اضمروا من الان يا اخوتي خصال الصدق والعفة وخصال البر والقداسة الخصال المحبوبة الممدوحة وخصال الفضائل والادب الممدوح هذه التي تعلمتموها وسمعتموها مني واخذتموها عني ورايتموها فيَّ فاعملوا بها والله ولي السلام يكون معكم امين في ٤ : ٨

القسم الثالث

في الات الواعظ وفيهِ تسعة فصول

الفصل الاول

في الات الواعظ اجمالاً وفي كميتها وتخصيصها

اعلم ان لكل مهنة آلة يكمل بها الصانع صناعتهُ ولما كان

الوعظ من جملة المهن بل هو من اجلها واشرفها لكونهِ الواسطة الكبرى في تخليص النفس التي هي اشرف ما براهُ الله وجب ان يكون لهُ الات يكمل بها الواعظ صناعة وعظهِ وهذه الالات سبعٌ الالة الاولى الحفظ غيبًا الثانية طلاقة اللسان الثالثة حسن الصوت الرابعة عزم الحرارة الخامسة حسن الحركات السادسة الشجاعة السابعة الشهامة وياتي الكلام عليها مفصلاً ان شاء الله تعالى وهذه كلها الات طبيعية في الانسان والدليل على ذلك ان الآلة من شانها ان تكون غير الفاعل لانها منفصلة عنهُ واما الات الوعظ المقدم ذكرها فهي عين الفاعل كما ترى لكونها غير منفصلة عنهُ فلهذا كانت الالة طبيعية لا صناعية ولما كانت كذلك كان استعمال صناعة الوعظ على كمال موجبها غير ممكن الا لمن كانت فيهِ هذه الآلات السبع كاملة طبعًا لا تطبعًا وذاتًا لا عرضًا وهذا هو الفرق المميز ما بين هذه الصناعة وبقية الصنائع. ينتج من هنا ان الوعظ موهبة خاصة من الله الى شخص خاص تقتضيهِ الاتها تامة وهذه علامة اختصاصها بهِ واختصاصهِ بها فلم تكُ تصلح الا لهُ. ولم يكُ يصلح الا لها لان الروح الذي يخص كلاًّ بما يناسبهُ هو عينهُ خص الواعظ بهذه الآلات ومن هنا يقول الرسول واقسام المواهب موجودة ولكن الروح واحد اكو ١٢ : ٤ اي ان مواهب الله ذات انواع مختلفة يهبها روح واحد بمقتضى ارادتهِ وانتخابهِ الخصوصي لا بمقتضى استحقاق احد ومراد الروح من ذلك فائدة

تلك الموهبة المعطاة كقول الرسول ان كل احد يُعطَى اظهار
الروح المنفعة وغاية هذا النفع تخليص النفس الذي هو غاية مراد
الله ولما كانت المواهب مختلفة وغايتها واحدة وهي ما قلناهُ كان
واهبها واحدًا ايضًا وهو الروح الواحد في الجميع هكذا قال الرسول
واحد يُعطَى بالروح كلام حكمة وآخر كلام علم بالروح الواحد
ايضًا واخر يُعطَى الايمان بالروح الواحد واخر يُعطَى مواهب
الشفاء بالروح الواحد واخر صنع القوات واخر النبوة واخر تمييز
الارواح واخر اصناف الالسن واخر ترجمة اللغات فهذه جميعها
يوتيها الروح الواحد عينهُ ويقسمها لكل احد كما يشاء ١ كو ١٢ : ٨
والغاية في اقسام هذه المواهب واحدة وهي المنفعة في تخليص النفس
ليكون الله مجدًا في الجميع ومن الجميع لاننا كلنا سُقِينا روحًا
واحدًا ١ كو ١٢ : ١٣ وقد نرى هذا المعنى ظاهرًا مما فعلهُ الله مع
سبط لاوي حين اختص كل قبيلة منهُ بعمل ما في قبة الزمان
فهرون وبنوهُ خُصُّوا لخدمة قبة الزمان في تقدمة القرابين ووضع
البخور وبنو قاهت خُصُّوا لحمل اواني القبة وبنو جرشون خصوا
لحمل سرادقات القبة وستائرها وبنو مراري خُصوا لحمل الواح
القبة واعمدتها عد ٤ وهذه مواهب قد قسمها الروح الواحد ما
بينهم على يد موسى عبدهِ وغاية هذه الاقسام كلها واحدة وهي
خدمة بيت الرب هكذا الحال هنا فان مواهب الله كلها واحدة وهي
تخليص النفس التي هي تابوت الله الروحي كقول الرسول اما تعلمون

انكم هيكل الله وان روح الله فيكم ١ كو ٣ : ١٦ واذا تاملت في هذه المواهب كلهـا التي يوتيها الروح الواحد تجدها كلها دالة على تخليص النفس كما قلنا واخصها موهبة كلام الحكمة والعلم المختصة بالواعظ خاصةً . ينتج من هنا ان الوعظ وظيفة اكثر خصوصية في تخليص النفس ولهذا اقتضت معها الات خصوصية تميز في امتلاكها اشخاصًا خصوصية وهم الواعظون المحقون ومن ثم لا يُطلَب من الواعظ التعمق في العلم بمقدار ما تطلب منهُ هذه الالات كاملة . لقد راينا علماء كثيرين لا يقدرون على الوعظ لفقرهم من آلاتهِ ورابنا واعظين كثيرين قد اتقنوا الوعظ وهم غير علماء لوجودها فيهم فما كل عالم واعظ ولا كل واعظ عالم وقد صح ان الوعظ وظيفة خاصة في اناس دون اناس غير متوقفة على علم ويدلنا على ذلك انتخاب الله لبشارتهِ تلاميذ اميين بسيطين وقد كان قادرًا جل وعز على ان ينتخب لهُ تلاميذ علماء ماهرين من الكتبة والفريسيين قال القديس اغوستينوس ان قلت لما لم يدعُ يسوع ناثانائيل الى وظيفة الرسالة والوعظ والتبشير لا في الابتداء ولا في الانتهاء مع انهُ كان مومنًا فاضلاً وقد شهد الله بفضلهِ يو ١ : ٤٧ اجبتك انهُ كان رجلاً عالمًا علامة في الشريعة فلهذا لم ينتخبهُ الرب رسولاً لكونهِ تعالى لم يصطفِ للبشارة الا الفقراء الاميين الخالين من العلم والفقه

الفصل الثاني

في الالة الاولى وهي الحفظ غيبًا

قد قلنا سابقًا ونقول الان ايضًا ان الواعظ يلزمهُ ان يكتب موعظتهُ كتابة مختصرة ويعين المقدمة واماكن الاقسام ان كان هناك اقسام ويثبت ما يقولهُ بالشواهد والامثلة والبراهين ويجعلها بمنزلة المسامير لاركان وعظهِ فاذا تمَّ هذا بحسب الواجب واستعد الى الوعظ يلزمهُ قبل ان يعظ بايام كثرت او قلت على مقتضى طول وعظهِ وقصرهِ وبحسب رقتهِ وسهولتهِ وبحسب قوة حافظتهِ ان يحفظ ما كتبهُ غيبًا ليقولهُ غيبًا ويتسع فيهِ بمقدار ما عندهُ من قوة الفهم لان خطابهُ الناس من ورقة مكتوبة يقراها عيب كبير وهو غير مستعمل من الواعظين اولاً لانهُ لا طلاوة لهُ وهو فاتر في عيون الناس لا سيما الفهماء ثانيًا لانهُ كلام ميت مثل قراءة كتاب على الغير ليس فيهِ روح حي تتحرك بالات الوعظ ثالثًا لان الواعظ لا يمكنهُ ان يقول اكثر مما هو مكتوب في تلك الورقة المختصرة فيها صناعتهُ وان قال فلا يمكنهُ ارتباط كلام بكلام اخر فيكون مفسرًا لا واعظًا . رابعًا لان الواعظ بقراءة الورقة لا يحرك قلوب السامعين لعدم وجود حركات صناعة الوعظ المحركة لانهُ لا يمكن ان يقرا ويستعمل الات الوعظ معًا واذا استعملها فلا يتقنها فهو حينئذٍ نصف استعمال بل اقل كاولئك الذين كانوا

يبنون سور اورشليم بيد واحدة وسلاحهم باليد الاخرى نح ٤: ١٧
وكانوا بهذا يشتغلون نصف شغل بحسب اقتضاء العقل بقطع
النظر عن التأييد الالهي فاذا كان الواعظ هكذا كان السامعون
فاترين في السماع لضعف عزم الخطاب الذي هو بمنزلة شخص جامد
غير متنفس ولا حساس فيلتزم الواعظ من هنا ان يحفظ ما كتبهُ
غيبًا . ثم الحفظ غيبًا يلزمهُ اشياء ثلثة اولاً اختصار الكتابة ليسهل
ضم المعنى في صفحة المخيلة هكذا صنع استفانوس اول الشهداء لما
اراد ان يثبت لليهود مجيء السيد المسيح فانهُ اورد لهم تاريخ ابرهيم
ونسلهِ والانبياء والهيكل وما يتعلق بهذا كلهِ بالفاظ وجيزة مختصرة
جدًا ليمكنهُ ان يحصر معنى ذلك كلهِ في مخيلة اليهود اع ٧ : ٢ هذا
نفسهُ يلزم الواعظ ان يصنعهُ ليتمكن من حفظ المعنى جيدًا لكن
يلزمهُ وهو قائم من الوعظ ان يستعد الى ان يملأ من عندهِ تلك
الاماكن التي يلزمها الاطالة في الكلام والبيان ويدرج فيها الفاظًا
ذات قوة وطلاوة وهما تظهر صناعة الواعظ وبراعتهُ وهذا يساعدهُ
عليهِ التهيوء الذي ذكرناهُ في الفصل الخامس من القسم الثاني هنا
ومما هو ضروري للواعظ ايضًا ان يضمن من عنده كلامًا مناسبًا
للموضوع في تلك الاماكن التي يلزمها التضمين ولكن بالمناسبة
حتى لا يكون وعظهُ مثل الشجر المطعم اصلهُ تفاح وثمرهُ كمثري
وليحذر هنا من عيب العي وهذر الكلام الذي لا طائل فيهِ فكن
اذًا يا ايها الواعظ حكيمًا بمنزلة البنّاء الحكيم فانهُ يتمم البيت الذي

يبنيهِ بما يلزم من ابواب وشبابيك وطاقات ومغالق وغير ذلك ثانيًا ان يكثر من درس ما كتبهُ ويحفظهُ في عقلهِ شيئًا فشيئًا ليتقرر معناهُ في فهمهِ بمنزلة الطفل الذي يتعلم سورتهُ ليقراها على شيخهِ كلمة فكلمة من غير غلط ولا لحن لانهُ ان ادمن على هذا الدرس وهذا الحفظ يصير لهُ الحفظ عادة فان كانت المواظبة تعلم الحيوان غير الناطق خصالاً غير خصالهِ الطبيعية فما ظنك في فعلها مع الحيوان الناطق لا سيما اذا كانت المواظبة تمكنهُ في خصالهِ الطبيعية التي هي الحفظ غيبًا لان الانسان مائل الى التعلم طبعًا كما تقول الفلاسفة ثالثًا ان يكون اجتهادهُ منصبًّا نحو حفظ الشهادات والادلة لا لان يحفظ معناها غيبًا فقط لان هذا شيء هيّن عليهِ وربما يحفظها من قبل ان يكتبها لكن يلزمهُ ان يحفظ مع ذلك اماكنها ومواقعها ويجعلها لهُ بمنزلة العلامات لتدلهُ على ما تقدم من الكلام وتاخر كالذي يذهب في طريق لا يعرفهُ فانهُ يضع لهُ فيهِ علامات تدلهُ حتى اذا رجع في ذلك الطريق يهتدي من تلك العلامات كما علق جواسيس يشوع بن نون في اريحا خيطًا احمر في بيت راحاب الزانية التي خبأتهم عندها حتى اذا رجعوا الى اريحا ليهدموها عرفوا ذلك البيت من علاماتهِ فلم يوذوا من كان فيهِ يش ٢ : ١٨ ولهذا وغيره سماها الخطباء مسامير المواعظ لانها تمكن معنى الوعظ وتدل الواعظ عليهِ

الفصل الثالث

في الالة الثانية وهي طلاقة اللسان

كما ان النار مستعدة الى الاحراق طبعًا و يزداد احراقها بمقدار ازدياد المادة فيها كذلك اللسان فانهُ وهو نار كما يقول الرسول يع ٣ : ٦ يزداد طلاقة بمقدار ما تقدم لهُ من المادة ولوازمهُ خمس اولها درس الكتب الروحية المناسبة للوعظ فان الواعظ يخزن منها في عقلهِ وفكرهِ معاني كثيرة تكون لهُ مادة في وعظهِ فينطلق لسانهُ حينئذٍ في ايرادها و بيانها كما قال فستوس لبولس الرسول في خطابهِ مع اغريبا الملك لقد توسوست يا بولس لان الصحف الكثيرة الجاتك الى الوسوسة اع ٢٦ : ٢٤ فكانهُ يقول لهُ ان الكتب الكثيرة التي درستها وخزنت معانيها في عقلك هي التي تحملك على الاسهاب في كثرة الخطاب وهذا قد تكلمنا عنهُ في الفصل السادس من القسم الثاني . ثانيها كثرة السامعين وامارات شوقهم الى سماع الوعظ لا سيما اذا كان فيهم اهل فضل وتقوى واهل فهم وذكاء وقد نرى السيد صنع هكذا لما كان جالسًا عند البحر فانهُ لما راى كثرة الجموع صعد الى السفينة وجلس يعلمهم مت ١٣ : ٢ فان السيد لما راى كثرتهم ورغبتهم الى الوعظ تحرك نحو تعليمهم لانهُ لا شيء يرغب الواعظ في اتقان وعظهِ بالاكثر مثل كثرة السامعين وتشوقهم الى التعليم ولا شيء يزهد الواعظ ويضعف

آلات وعظهِ مثل قلة السامعين او عدم اصغائهم اليهِ فلهذا يشتد الواعظ في وعظهِ ويتسلح متدرجًا بآلاتهِ اذا راى الكثرة والرغبة واذا اشتد الواعظ انطلق لسانهُ ضرورة كالماء المنحدر من القناة فانهُ اذا كثر وضاق منفذهُ اشتد صعودهُ ثالثها اذا كان هناك موضوع قابل لاطالة المقال فان الحال الواقعة تلجئهُ الى الاسهاب في الخطاب ضرورة. ان الريح اذا اشتدت في فصل الشتاء اتت بامطار كثيرة واذا اشتدت في فصل الربيع ارسلت الاشجار ازهارها واوراقها واذا اشتدت في فصل الصيف اينعت الثمار واذا اشتدت في فصل الخريف اسقطت الثمار والاوراق معًا لان كلاً منها موضوع قابل لذلك فكذلك يكون الواعظ اذا كان موضوع كلامهِ قابلاً للاسهاب والاطناب. هكذا صنع بولس لما اذن لهُ اغريبا الملك ان يحتج عن نفسهِ اع ٢٦ : ١ فانهُ اسهب واطال في الخطاب لما راى الموضوع قابلاً حتى ضج السامعون منهُ ونسبوهُ الى الوسوسة وهكذا صنع يسوع في خطابهِ مع تلاميذهِ بعد غسلهِ اقدامهم لما راى الموضوع قابلاً يو ١٣ : ٣١ رابعها تمكن الواعظ في حفظهِ موعظتهُ فان الانسان لا يجود الا بما عندهُ من الموجود فان العين لا تبعث ماء الا بمقدار ما تحويهِ من الرطوبة خامسها غيرة الواعظ وحرارتهُ فانها تنبه قريحتهُ وتشحذها فيتحرك لسانهُ ضرورة فينطلق مسترسلاً في كلامهِ كما نبهت الغيرة قريحة بولس فاسترسل في كلامهِ مع اليهود اع ٢١ : ٤٠

الفصل الرابع

في الالة الثانية وهي حسن الصوت

ان حسن الصوت ولو كان طبيعيًا في الانسان الا ان لهُ اشياء توذيهِ فتخرجهُ عن مركز طبعهِ . اولها استعمال الموالح والحوامض كالكوامخ ونحوها ثانيها الامعان في الاكل وشرب الخمر والماء البارد جدًّا ثالثها التعب البليغ وعدم ملافاة المزاج من الحرارة والبرودة وضعف الجسد الزائد عن حدهِ رابعها السهر الزائد خامسها الزيادة في استعمال التتن لانهُ يحدث ضيقًا عند التنفس سادسها كثرة اكل السمك والاشياء الرطبة فانها تحدث البلاغم وتسد مجاري الصوت سابعها كثرة استعمال اكل الزيت فانهُ يخشن الحلق ثامنها استنشاق الريح الباردة فهذه كلها يلزم ملافاتها ولهُ اشياء تقويهِ وتنفعهُ اولها استعمال الامراق الدسمة والمآكل المدهنة ثانيها اكل السمن والسيرج وانواع الحلاوات ثالثها استعمال مقدار عشرة دراهم من العرق قبل النوم او بعدهُ فانهُ يذيب البلغم رابعها الدفء لا سيما دفء العنق اذ هو مجرى الصوت لان الواعظ اذا احترس على حسن صوتهِ ملك قلوب السامعين وجذبهم نحو مرادهِ لان الصوت فيهِ قوتان الاولى قوة مرهبة اذا كان شديدًا جهيرًا كما ارهب الله الشعب اسرائيل باصواتهِ الجهيرة يوم خاطبهم من طور سينا باصوات الرعود وصوت البوق ففزع

الشعب جدًا خر ١٩ : ١٦ وكذا يوحنا فانهُ سمع في جليانهِ اصواتًا تنبثق من العرش رؤ ٤ : ٥ هكذا الواعظ فانهُ اذا ارعد بصوت وعظهِ ادهش السامعين وارهب قلوب الخطاة . الثانية قوة ملذذة وذلك اذا كان الصوت صافيًا خارقًا بلذة حسنهِ في المسامع شجيًا رخيمًا في نغمتهِ فانهُ يلين القلوب ويرققها ويملاها خشوعًا ووداعة فكما ان داود لما كان ياخذ العود ويضرب بهِ يفرج عن شاول ويستريح ويطيب فيصرف عنهُ الروح الردي الذي كان يعذبهُ بامر الرب ١ صم ١٦ : ٢٣ هكذا الواعظ فانهُ اذ ضرب للسامعين بعود صوتهِ الرخيم يبعد الروح الردي الذي يعذبهم بالتجارب ويميل بهم الى التوبة والندامة والخشوع ان المغني اذا كان صوتهُ رخيمًا اطرب السامعين واماهم الى سماعهِ ولو كان ما يقولهُ ركيكًا لا معنى لهُ لان الصناعة التي معهُ وحسن صوتهِ تغشى تلك الركاكة وتجعلها لذيذة معتبرة كما يغشي الذهب النحاس ويجعلهُ للناظرين ذهبًا كلهُ هكذا الواعظ الحسن الصوت فانهُ يستجذب السامعين اليهِ بحسن صوتهِ ولو كانت عباراتهُ ركيكة ويتلاعب بهم كما تتلاعب الريح بالاغصان وهذا شي؟ طبيعي لان النفس تنبسط من ذلك الفرح الذي انبث في القلب المسبب لهُ من لذة نغمة الصوت فيميل بكلية قواهُ نحو ما يسمعهُ ملتذًا بهِ وقد يتفق للانسان ان يموت احيانًا من افراط عزم تلك اللذة . هذا نفسهُ يحصل للتائبين من سماع حسن صوت الواعظ حتى يموت بعضهم

احيانًا من تفاقم ندامتهِ على خطاياهُ الصادرة لهُ من نبرات الواعظ المهيلة كما ان العصب اذا كان قويًا يقوى بدون الحيوان مع ضعفهِ هكذا حسن الصوت فانهُ يقوى بدن الواعظ ولو كان الواعظ ضعيفًا ويفخمهُ ولو كان ركيكًا وهذا معلوم من المجربات

الفصل الخامس

في الالة الرابعة وهي عزم الحرارة

ان الرحى بغير عزم الماء المنصبّ اليها لا تطحن شيئًا ولا تفيد احدًا والصوت بغير عزم الحرارة لا يفيد السامعين ولا يقوي عبارات الواعظ اصلاً كانهُ طعام لا ملح لهُ فلهذا لا يكون مقبولاً ولا لذيذًا الا عند البهائم التي لا تميز ما بين الغث والسمين فان اردت ان يكون صوتك مقبولاً فامزجهُ بملح الحرارة وادامها لكن بمقدار ولهذا كان للحرارة في الوعظ اماكن تخصها فان تعدت اماكنها اضرت كما يضر عدمها . ان البدن قائم بالحرارة الغريزية وبها نموهُ وحياتهُ فان زادت ونقصت عن عيارها انفصل البدن واعتراهُ المرض وان فنيت مات هكذا حال الحرارة في الواعظ فان تعدت اماكنها او سكنت تلاشي جسم الوعظ . واماكنها اولاً بيان صعوبة الموضوع بايراد الشواهد والادلة المقنعة ومن هنا كان يبكي صاحب الجليان لانهُ لن يوجد احد مستحق ان يفتح الكتاب ولا ان ينظر ما فيهِ رؤ ٥ : ٤ ثانيًا بيان ارادة الله في ذلك الموضوع ومن هنا قام

بطرس الرسول بالحجة على ان المسيح جاء ضرورة وان الايمان بهِ ضروري للخلاص ولهذا امر اليهود الذين امنوا بالاعتماد اع ٢ : ١٤ ثالثًا بيان ضرورتهِ في خلاص الانسان ومن هنا احتد يوحنا الصابغ قائلاً من لا يومن بالابن لا يعاين الحيوة بل يحل عليهِ غضب الله يو ٣ : ٣٦ رابعًا التوبيخ لاجل ذلك الموضوع ومن هنا احتد الرسول على الغلاطيين موبخًا لهم بقولهِ يا ناقصي الراي يامعشر الغلاطيين من ذا الذي سحركم حتى لا تطيعوا الحق غل ٣ : ١ فان الحرارة في مثل هذه الاماكن بمنزلة سهم ناري تطعن بهِ قلب الخاطي فتستفرغ منهُ جميع المواد الفاسدة ثم استعمل الوداعة بعد هذه الحرارة بمنزلة اسفنجة تمسح بها اثار ذاك القيح المنتن واضبط لسانك من فلتاتهِ ومن الحرارة لئلا تجرح الاماكن الطيبة او تفسد المقصود بمفصد لسانك او تتعمق في الجرح اكثر من المطلوب فتحدث من ذلك قتلاً او في الاقل سقمًا باهظًا ومن هنا استحق التوبيخ يعقوب ويوحنا من السيد لانهما طلبا الانتقام بحرارة زائدة من اهل السامرة لكونهم لم يقبلوا المسيح لو ٩ : ٥٤ وهذه حفرة قد تهوَّر بها كثيرون من الوعَّاظ فان النار اذا اشتدت حرارتها من اضطرامها الزائد احرقت اليابس والاخضر معًا . ليس على الواعظ خطر في وعظهِ مثل خطر عزم الحرارة لا سيما عند التوبيخ لكونها تغيب الواعظ عن وعيهِ وتخرجهُ عن حسهِ . اسأل مجربًا ولا تسال حكيمًا ومن جرَّب المجرَّب حلت بهِ الندامة واكثر المتهور في هذه الحفرة الواعظ

الفصيح المتعجب لان الفصاحة تطلق لسانهُ وفرح العجب يغيبهُ عن حسهِ فيسقط ودواؤُهُ هنا استعمالهُ آلة الشهامة كما ياتي بيانها في مكانها

الفصل السادس

في الالة الخامسة وهي حسن الحركات

اعلم ان حركات الواعظ نصف وعظهِ كما ان حركات المؤدب نصف ادبهِ قال الحكيم ان الرجل يُعلَم من منظرهِ ابن سيراخ ١٩ : ٢٦ هكذا الواعظ فانهُ يُعلَم من حركات وعظهِ فلهذا يلزمهُ الحرص في اتقانها كما يلزمهُ الحرص في اتقان وعظهِ كلهِ . ان الحيوان الناطق مركب من جسد ترابي ومن نفس ناطقة والوعظ الناطق غير الميت كقراءة الكتب الروحية مركب من الفاظ بسيطة ذات معنى ومن حرارة ومن حركات حية فالجسد الترابي غير حسَّاس واما النفس الناطقة فانها حساسة عاقلة فهي اذًا قوام الانسان وبغيرها لا يعد الانسان الا شبه الانسان هكذا الوعظ فان اللفظ فيهِ ميت غير متحرك واما الحركات فانها قوام الوعظ الناطقة وجوهرهُ القائم فيهِ الالفاظ الميتة فكما ان الانسان لا يعد بدون النفس الناطقة انسانًا هكذا الوعظ فانهُ لا يعد بدون الحركات وعظًا بل انما يكون صورة وعظ كما ان ذلك صورة انسان فينتج من هنا ان الحركات قوام الوعظ وانها المتممة لما ينقص منهُ اي ان الواعظ يستعين بحركاتهِ في وعظهِ على ما ينقصهُ من اللفظ

والحرارة كما استعان بنو اسرائيل ببسط يدي موسى بمنزلة السلاح الاعظم خر ١٧ : ١١ فيدا موسى هي عين حركاتك يا ايها الواعظ فاستعن بها على حرب عمالقة الخطية وعلى الخاطئين . ان المشي هيّن على الانسان لا يخاف معهُ السقوط لانهُ طبيعي لهُ لكنهُ يصعب عليهِ اذا كان فوق حبل ولو كان طبيعيًا فيهِ ويخاف السقوط معهُ كثيرًا فاذا اراد ان تم فيهِ نقص هذا المشي الطبيعي ويزيل خوفهُ العارض لهُ من الحبل يتناول الميزان بيديهِ ويحركهُ متلاعبًا بهِ فيستقيم حينئذٍ مشيهُ ويزول خوفهُ ويمشي وهو فوق الحبل كمشيهِ فوق الارض بل اسرع وارشق ويظهر في مشيهِ فوق الحبل غرائب تدهش الابصار حتى يقول الناظرون اليهِ ما هذا بشرًا وهذا انما يتاتى لهُ من حركات الميزان الذي بيديهِ فهذه صورة الواعظ فانهُ وهو في وعظهِ بمنزلة من يمشي فوق حبل والحركات ميزانهُ فان تلاعب بها مستقيمًا وعظ مستقيمًا وادهش نواظر الناظرين . فتمسك اذًا يا ايها الواعظ بميزان حركاتك ولا تدعهُ يسقط لئلا تسقط انت معهُ لان قوتك كلها في حركاتك فان سكنت تلاشت . ان شمشون لما جز شعر راسهِ اخذ اسيرًا قض ١٦ : ١٩ فانت مثلهُ لانهُ ان سكنت حركاتك وانت في منبر الوعظ تشبه صنمًا يتكلم بصناعة بشرية فلا تتكل على بقية الاتك وتهمل هذه لان السفينة لا تسير بغير الريح ولو كانت آلاتها تامة وقلوعها معدة هكذا سفينة وعظك فانها لا تمشي الا بريح الحركات ولو كنت افصح عصرك

واعلم دهرك ثم ان هذه الحركات تختلف باختلاف اخلاق سكان
العالم لان للاتينيين حركات تخصهم في بلادهم غير حركات اليونانيين
وكذلك اهل الهند وفارس وبلاد العربية من العراق الى مصر
وما يليها فان خرج كل منهم عن حركات بلاده خرج عن استقامة
وعظهِ وتستدل على انواع حركاتهم في وعظهم ولو لم ترَها من
حركاتهم واشاراتهم عند حديثهم وكلامهم في تصرفهم بين الناس
فانها عين تلك الحركات التي تكون منهم في الوعظ واذا اراد احد
ان يتظاهر بحركات بلاد في بلاد اخر فيكون قد صنع نكرًا يضحك
الناس عليهِ ولهذا يلزم الواعظ في غير بلاده ومرباهُ ان يتعلم اولاً
حركات تلك البلاد ثم يعظ ليستقيم وعظهُ وياتي بالفائدة تامة
هكذا قال الرسول وصرت مع اليهود كاليهودي لاربح اليهود
اكو ٩ : ٢٠ فلا يجوز للواعظ اللاتيني واليوناني ان يتظاهر في البلاد
العربية بحركات بلاده ولا الواعظ العربي ان يتظاهر عند اولئك
بحركات موضعهِ فان هذا يعد عيبًا كبيرًا في صناعة الخطاب افهم
ذلك ثم الحركات قسمان قسم يخص الصوت وقسم يخص الاعضا
فالقسم الاول الذي يخص الصوت نوعان الاول طبقات الصوت
وهي ثلاث رفع ونصب وخفض فيلزم الواعظ ان يتلاعب بصوتهِ
في هذه الثلاث، كما يتلاعب الزمار بزمرهِ تارة برفع وتارة بنصب
وتارة بخفض حسب مواقع الكلام والاخذ فيهِ فان اخللت في
التركيب ضاع غرض المعنى ضرورة وكان بمنزلة طفل يصفر في

انا بيب القصب لا يعرف لهُ اول من اخر. يلزم الواعظ اولاً ان
يرفع صوتهُ في الاماكن التي تلزمهُ فيها الحرارة وقد تقدم بيانها في
الفصل المتقدم فليُراجَع. ثانيًا ان ينصبهُ اي يعتدل بهِ وذلك في
الاستفهام والتعجب وفي ايراد الشواهد والاخبار. ثالثًا ان يخفضهُ
وذلك في التعليم والنصيحة والعتاب ولا يستعمل همس الصوت
بالكلية لئلاَّ ينبهم كلامهُ عند السامعين فلا يسمعونهُ فتفوت الفائدة
فهذه الطبقات الثلث يلزم استبدالها في الوعظ بمقتضى مواقعها
وهذا هو مراد الرسول بقولهِ الى الغلاطيين وقد كنت احب ان
اكون بينكم الان واغيّر صوتي لانني مستريب منكم غل ٤: ٢٠ فكانهُ
يقول انني اغير خفض صوتي الذي كنت استعملهُ معكم للتعليم
والتهذيب وانقلهُ الى رفع التوبيخ والتهديد ثانيًا حركات الصوت
وهي سبعٌ اولاً الامتداد اي ان يمدهُ بالترثي وذلك وقت التوسل
والخشوع والمذلة والتواضع والانسحاق بالضعف والنقص والخطايا
وطبقتهُ الخفض ثانيًا الاستفهام ولهُ فيهِ حركة السوال وطبقتهُ النصب
اي الاعتدال ثالثًا التعجب ولهُ فيهِ حركة المندهش المبهوت وطبقتهُ
النصب رابعًا التهديد والوعيد ولهُ فيهِ حركة القاضي المنتقم وطبقتهُ
الرفع خامسًا الشفقة والحرص ولهُ فيهِ حركة الاب الشفوق وطبقتهُ
النصب . سادسًا النصح والتعليم ولهُ فيهِ حركة المعلم مع تلميذهِ
وطبقتهُ الخفض. سابعًا الخطاب والمذاكرة ولهُ فيهِ حركة الاحاديث
والاخبار وطبقتهُ النصب. فالواعظ يلزمهُ ملاحظة هذه الحركات في

وعظهِ مع ملاحظة طبقات الصوت وليوقع كلاًّ في موقعهِ وقرارهِ على طبق المعنى ولا يزل فيهِ اصلاً وهنا تظهر براعة الواعظ واذا خرج من طبقة الى طبقة فليكن خروجهُ بغتة فان هذا نوع من الالتفات لهُ في النفوس احسن تاثير وموقع وليصنع كذلك اذا خرج من حركة الى حركة اخرى. القسم الثاني الذي يخص الايدي وبقية الاعضاء وهو نوعان الاول هيئة الواعظ وهي ثلث ضمٌّ وفتحٌ وكسرٌ فيلزم الواعظ ان يقدم لله ذبيحة سليمة تامة لا عيب فيها لا يوجد فيها نقص يعيبهُ ولا يشينهُ في حركاتهِ وكما قال الرب لموسى ان كل قربان تقربهُ تكون تمليحهُ بالملح ولا تبطل ملح عهد ربك من قرابينك كلها لا ٢ : ١٣ اولاً ضم حركاتهِ بالتهذيب اي تكون حركاتهُ كلها مضمومة مهذبة بملح الرزانة والرصانة لا طائشة بخفة العقل والراس بل فلتكن كلها مضمومة تحت طي الحكمة. ثانياً ان يفتح قامتهُ اي انهُ يكون منتصب القامة غير منلوٍ ولا مخلع تخلع الراقصين ليلا يكون راقصاً لا واعظاً ثالثاً ان يكسر قدمهُ بالثبات في موضعهِ حتى يكون ثابت القدمين بالكلية فلا يحركهما ولا يخرجهما عن قرارهما ابداً فاذا ملح قربانهُ بهذا الملح يكون حينئذٍ مقبولاً الثاني حركات الواعظ وهي سبعة اولاً اذا انتصب الواعظ في منبر الوعظ يفتتح كلامهُ باية من الكتاب المقدس تكون براعة استهلال وعظهِ ويداهُ مضمومتان على صدرهِ وعمامتهُ بين يديهِ ان كان لهُ عمامة ثم يلبسها ويبتدي في شرح كلامهِ وهو يحرك يدهُ

اليمنى تحريكًا خفيفًا حتى اذا تمادى في كلامهِ حرك يديهِ معًا . ثانيًا يتلاعب بيديهِ وراسهُ ويجيل نظرهُ متلفتًا يمينًا وشمالاً في حالة التعليم والتوبيخ والبيان فيما هو آخذ فيهِ ثالثًا يبسط يديهِ عند التعجب كانهُ منذهل ويضمهما الى صدرهِ عند التوجع ويتمايل براسهِ ويداهُ منبسطتان عند النواح والندب رابعًا يضرب يدًا على يدٍ ويدهُ على ركبتهِ عند التندم كانهُ خسر شيئًا ثمينًا خامسًا يمد يدهُ اليمنى مسلطًا بعزم الحرارة عند الانتقام والتهديد ويبعد بكفيهِ او بكفهِ عند الطرد ويقبل بهما نحو صدرهِ عند الاقبال سادسًا يرفع يديهِ الى السماء عند الابتهال والخشوع ويحني براسهِ عند التذلل والاتضاع سابعًا حركة الاشارة وهي خمس اولاً ان ذكر شيئًا من الاعضاء فليدل على عضوهِ المشار اليهِ وكذلك اذا اشار الى الذات والقلب والعقل ثانيًا اذا اشار الى الجهات الست وهي قدام وخلف وشمال ويمين وفوق وتحت فليدل نحو كل منها بيدهِ ثالثًا اذا اشار الى المخاطَب فليدل نحو الحاضرين والى المتكلم فلنحو ذاتهِ والى الغائب فلنحو البعيد رابعًا اذا اورد ذكر آلة ما مثالاً او خبرًا وغير ذلك لمضمون كلامهِ فليصور فيها اشارة فعلها خامسًا اذا وبخ فليخالف في اشارات التوبيخ نحو الحاضرين خوفًا من الظن . والحاصل فلتكن الحركة مناسبة لما يتحرك من اجلهِ والاشارة تناسب المشار اليهِ ولتكن عيناهُ تابعتين حركات يديهِ حسب الامكان ولا يزال جسدهُ ملتفتًا يمينًا وشمالاً وعيناهُ تجولان على

السامعين كأنهُ ينظرهم كلهم معًا ولكن قدماهُ مع هذا كلهِ ثابتتين في الارض كأنهما عمودان لا تتحركان ولا تنتقلان واما حركات عزم الحرارة فقد مر بيانها في الفصل المتقدم هنا استطرادًا

الفصل السابع

في الآلة السادسة وهي الشجاعة

ان موقف الواعظ في منبر الخطاب مهيب جدًا لكونهِ في ذلك الموقف فريدًا ما بين جموع كثيرة محدقة بهِ وعيون الجميع ترمقهُ وهي شاخصة فيهِ يميزونهُ تمييزًا خاصًا من فرقهِ الى قدمهِ فلا يمكن ان تختفي عنهم ادنى حركة من حركاتهِ ولو رفة جفن وينتقدون الفاظهُ ويتاملون معانيها ويشاهدون حركاتهِ عيانًا وكلهم صاغون لصدى صوتهِ فترى كثيرين يشاهدون واحدًا وواحدًا يشاهد كثيرين لا سيما اذا كان ثمَّ علماء وواعظون منتقدون والاصعب من هذا كلهِ اذا كان فيهم حساد مبغضون يترقبون عثرة الواعظ ليتعلقوا عليهِ بالردى فاعظم بها من حالة هائلة تشدهُ البصائر وتدهش الابصار وقد تشكى منها الرسول قائلاً وكنت في بلية من امتي وفي بلية من الشعوب وفي بلية من المدن ومن الاخوة الكذبة ٢ كو ١١: ٢٦ يعني بهم القوم الحاسدين فيلزم الواعظ هنا شجاعة وتاييد الهي وهذا بالمعنى قد تقدمنا فنبهنا عليهِ غير مرة في سياق الكلام فان كنت يا هذا غير شجاع في طبعك فلا تتورط في هذه الوظيفة

الشريفة ولا تخض هذه اللجة التي غرق في مساحلها كثيرون لانك
وُعدت من الله ان تكون في هذه الوظيفة خروفاً بين الذئاب كما
قال رب المجد لهُ المجد ارسلتكم كالخراف بين الذئاب مت ١٠ : ١٦
فليتامل الواعظ في حالة خروف وديع تحدق بهِ ذئاب مفترسة مملوءة
حسداً وبغضاً وتعنتاً وعناداً وقذفاً وافتراءً كما كانوا محدقين قبلهُ بالسيد
المسيح رب وظيفتهِ فان كان المتقدم الى هذه الوظيفة جباناً فليتاخر
عنها غير متكل على الآتهِ لان جبانتهُ تنسيهِ صناعتهُ فلا تفيدهُ شيئاً
غير تعريض نفسهِ للرزايا واقامتهِ ذاتهُ هدفاً للبلايا. قد رايت واعظاً
جباناً كان في وعظهِ يرتجف كلهُ مع صوتهِ كانهُ قصبة في مهب ريح
عاصفة فرحمتهُ متوجعاً لهُ بقلب شفوق متالم عنهُ لافراط هلعهِ
وجزعهِ وقلت فليصمت واعظ مثل هذا اذ الحديث حرام عليهِ
فكيف الخطاب على المنابر وقد كان يكفيهِ الاتعاظ بذلك المثل
الذي اوردهُ السيد قائلاً من منكم يريد ان يبني برجاً فليجلس اولاً
ويحسب نفقتهُ اللازمة هل لهُ ما يكملهُ لو ١٤ : ٢٨ ولهذا اقول لك
يامن يروم ممارسة هذه الصناعة انك ولو كنت شجاعاً طبعاً فلا بد
لك في الابتداء من كل هذه المرائر لتصل بعدها الى استعمال اكل
الفطائر فانها ارض الميعاد التي من دونها طعن ومصادفة اهوال
ومكافحة ابطال لكن يقول الله تعالى ثقوا وتقووا انا غلبت العالم
يو ١٦ : ٣٣ فلهذا انصحك قائلاً اذا تهيبت الناس في ابتداء
ممارستك وظيفة الوعظ فلا تجبن ولا تهلع ولا تسقط عن منبرك

في يد الخوف الظالم لئلاً يصير فيك ملكة فتموت بهذا الداء الذي فتك بقلوب كثيرين من الواعظين وللتخلص منهُ اولاً ان تجعل الموعظة مختصرة ذات معنى سهل واياك تخدع ذاتك بقولك انني اذا قراتها اولاً في قرطاس على السامعين تقوى اخيرًا عبارتي فاصير اقولها غيبًا ما اكثر المتخدعين بهذا الوهم الباطل قد راينا غيرك ظن هذا الظن الفاسد ومات متحسراً على ما طلبت وطلب لانهُ لا شيء يزيدك سقمًا مثل هذا ان النزل اذا اخذ لهُ مجرى في البدن يلزمهُ اولاً التنقية من داخل فان لم تفد التنقية يلزمهُ الكي فيستقيم النزل جاريًا والكي مخرجًا فان كنت لا تحفظ ما تقولهُ غيبًا فاستعمل العلاج في الحفظ وهذا هو التنقية وان كان لا يشفى في هذا العلاج فتلتزم بالكي فان قلت وما هو الكي قلت هو ان تمسك قرطاسًا مكتوبًا وتقراهُ على السامعين فكيف تطمع بعد هذا ان تستغني عن هذا الكي والطبيعة اخذت مجراها اليهِ لانهُ لم تفدها التنقية قبلاً فالاوفق لك ان تترك الوعظ من ان تبتلي بهذا الكي الوخم واتعظ بما قالهُ السيد عن شجرة التين افلحها وازبلها فان لم تثمر فاقطعها لو ١٣ : ٨ اي ان لم يمكنك الحفظ غيبًا بعد علاجه الذي ذكرناهُ هنا في الفصل الثاني من هذا القسم فاترك الوعظ وعُد عنهُ

ثانيًا اقطع النظر عن المنتقدين واحسب السامعين كلهم مستفيدين لان حرصك من المنتقدين وممن يمسكون عليك الغلط يزيدك وهمًا

واذا زاد الوهم فقدت الشجاعة ضرورة فتسقط حينئذٍ عن درجة وعظك فاقطع النظر عن هذا التوهم واطلب رضى من رضي بتسبحة الاطفال والرضعان يوم الشعانين مت ٢١ : ٥ ولا تطلب رضى الناس الذين قالوا ليسوع وهو فوق الصليب ان كان هو ملك اسرائيل فلينزل الان عن الصليب ونومن به مت ٢٧ : ٤٢ فلم يلتفت يسوع الى رضاهم بل التفت الى ان يتمم مشيئة ابيهِ السماوي ٠ وهكذا قل مع الرسول لو كنت الى اليوم ارضي الناس لما صرت عبد المسيح غل ١ : ١٠ اي ان كنت تقصد في وعظك رضى المنتقدين فلا يمكنك ان تصير واعظًا حقيقيًا ليسوع في تخليص الانفس لان المنتقد متعنت ورضى المتعنت غاية لا تدرك

ثالثًا لا تمعن نظرك ولا تكررهُ كثيرًا في السامعين لئلا تهولك كثرتهم وصولهم بل ليكن نظرك متوجهًا نحو موضوع وعظك وهو ان كيف تقتل الخطية وتحيي الخاطي مثل يهوديت البارة لما ارادت بالهام الهي ان تخلص مدينة بيت فالومن يد اليفانا قائد جيش بختنصر الملك الذي كان محاصرها بمائة وعشرين الف رجل واثني عشر الف فارس يهوديت ٢ : ٩ فهذه الجموع كلها ما هالت يهوديت البارة لان غرضها كلهُ كان موجهًا نحو قتل اليفانا وتخليص الاسرائيليين منهُ ولهذا اخترقت الصفوف الجندية وتممت حياتها حتى قطعت راس الكافر وخاصت الشعب فكن انت في عزمك متوجهًا نحو تمام نيتك ولا تلتفت الى كثرة الجموع كما لم تلتفت تلك

الى كثرة الجنود واقطع راس الخطية بحد لسانك وخلص الخاطي منها

رابعًا اذا نسيت شيئًا من وعظك فجزهُ وخذ في غيرهِ لانهُ ليس الوقت وقت التفتيش عند مبتدىء مثلك ولا تعتبر عتب السامعين فدعهم يقولوا غلط ولا يقولوا خرس لانك ان فتشت ذلك الوقت تنسى الجميع فتخرس بل كن كالصبي الذي يخطف التفاحة ثم يفر هاربًا ولا يلتفت الى شتائم صاحبها وهذه المهاول كلها تصيبك في ابتداء معاطاتك صناعة الوعظ فاذا ادمنها فلا تعود ترى من هذه الاوهام شيئًا والذي يزيدك شجاعة قولك لذاتك هذا اقد تعاطيت وظيفة الوعظ وماعاد لي منها براح فلنجدّ الاحضار في اتقانها واياك من ان تصغر نفسك فتضجر ولهذا تبطل الوعظ وفيك آلاتهُ تامة . واسباب صغر النفس ثلاثة اولاً اذا رايت حاسديك يثلبونك ويلذعونك بالكلام المنكي . ثانيًا اذا رايت ذاتك ليس كما تريد من استقامة وعظك . ثالثًا اذا رايت البعض لا يثنون على وعظك ولا يمدحونك فتصغر نفسك من هنا وتطلب ان تبطل الوعظ وهذا هو مراد ابليس عدو الخير ومراد تلاميذهِ الحاسدين وعلامة كبريائك وحبك مجد العالم لا مجد الله

الفصل الثامن

في الالة السابعة وهي الشهامة

الشهامة مصدر شهم كنصر فهو شهم بفتح الشين ومعنى الشهامة

في اللغة ذكا الفواد وتوقد العقل والمعنى فيهما واحد وهو ان الواعظ يلزمهُ في وعظهِ اولاً ان يكون ثابت القلب ذكي الفواد لا يمل ولا يضجر ولا تصغر نفسهُ ليلا يعتريهُ النسيان والبلادة بل يلزمهُ ان يجود باحسن ما عندهُ لمجد الله الاكبر وليطع ما امرهُ بهِ الرسول القائل تكلم بما حسن من التعليم الصحيح تي ٢ : ١ . ثانيًا ليكن الواعظ متوقد العقل واسع الوعاء غير مكترث بما نجس بهِ الحساد المحدقون بهِ من الهذيانات لانهُ لا شيء يزيدهم حريقًا ويذيبهم حسدًا وكمدًا مثلما اذا راوك يا ايها الواعظ تجود وتجول في ميدان وعظك وقد حزت فيهِ قصبة الرهان فان هذا اعظم عذاب لهم وتظهر علامة جودة وعظك من زيادة ثلبهم لك ومذمتهم لما قلتهُ فان ذوي العيوب يحبون اشاعة معايب الناس فان اذكوا عليك نيران الفتنة فاثبت انت بذكاء القلب وتوقد العقل كعود الند الذي كلما زاد حريقًا زاد طيبًا فتلذذهم من جهة حاسة الشم بلذة رائحة تعليمك الذكي وتحرقهم من جهة اخرى حاسة السمع من حرارة تعليمك المتقد الزكي قال الشاعر

اني لارحم حاسدي لحرّ ما ... ضمت صدورهُم من الاوغارِ
نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نارِ

وليس في هذا المعنى مثال اقدمهُ اليك الاهامان ومردخاي اس ٧ : ٩ فاذا راجعت قصتهما ترى فعل الله غير فعل البشر . ثالثًا ليكن الواعظ ذكي القلب واسع العقل في ان يستحضر وهو

واعظ جميع ما يلزمهُ ان يقولهُ ويفعلهُ ويتحرك بهِ في الوعظ اي انهُ يلزمك ان تلاحظ وانت في منبر وعظك اشياء كثيرة توردها من المعاني ومن التشابيه والامثال والاستعارات المفيدة لك وللسامعين وان تلاحظ اشياء اخر تنبه وتوبخ عليها وتضرب على الوجع من ثاقب عقلك وسابق معرفتك بما اطلعت عليهِ حتى يظن السامعون انك أُعطيت روح النبوة حتى يقال فيك ما قيل في المسيح تعالوا انظروا رجلاً انبأني بكلما فعلت يو ٤ : ٢٩ . رابعًا يلزمك يا ايها الواعظ ان تحترس من فلتات اللسان ومن تناقض العبارات ومن خلل الشهادات حتى لا تقول بعد انتهائك من وعظك يا ليتني قلت هذا ولا قلت ذاك وهذا كلهُ يساعدك عليهِ اتساع العقل لان الواعظ الذي ليس فيهِ شهامة بمنزلة من يركب فرسًا جموحًا ويركض بهِ ما بين الصخور بلا تمييز فلا يخلو من عثار وسقوط فالراكب انت والفرس الجموح الوعظ الحار والصخور هم السامعون فان كنت تخاطبهم بغير افراز وتمييز فانت قريب الى السقوط من عثرات لسانك وتضيع تعبك كلهُ وتعود تحت لائمة العقلاء وشماتة الجهلاء لا سيما الحساد الذين هذا غاية مرادهم . قال الحكيم من يحفظ فمهِ يصن نفسهُ والجسور تدركهُ البلايا من شفتيهِ ام ١٣ : ٣ فاحترس من فلتات لسانك في وعظك لان كمال وعظك متوقف على هذا كما قال الرسول من لا يذنب في كلامهِ فهو رجل كامل يع ٣ : ٢ فاصلح اذًا كلامك في وعظك لا سيما وقت التوبيخ والزجر

وليكن ذا ذوق وطعم مقبول كقول الرسول ليكن كلامكم كل حين بالنعمة مصلحًا بالملح لتعرفوا كيف ينبغي لكم ان تجيبوا انسانًا فانسانًا كو ٤: ٦ اي لتعطوا كل انسان الدواء الذي يناسبهُ في شفائهِ فان كنت يا ايها الواعظ خاليًا من آلة الشهامة فلا تمد يدك الى الوعظ فتكون بقلة افرازك وسفاهة لسانك كالباحث عن حتفهِ بظلفهِ والجادع مارن انفهِ بكفهِ فتندم حينئذٍ ندامة الكسعيّ فان انت غلطت في جميع آلات الوعظ تخسر خسارة واحدة وهي انحطاط قدرك وقيمتك فقط واما اذا غلطت في آلة الشهامة فتخسر ثلثة اشياء اولاً انحطاط قدرك بين الناس لعدم افرازك وسفاهة لسانك ثانيًا انثلام ذمتك لانك فرطت في محبة القريب لعدم افرازك وتدبير وعظك ثالثًا عداوة السامعين لانهم صاروا يعادونك من اجل ما افرطت في حقهم وليس لك مندوحة تعتذر بها عند الناس لانك عندهم بمنزلة عالم علامة وما كان اغناها عن الحالين والفرق بين الشجاعة والشهامة ان الشجاعة قوة القلب في الحواس الظاهرة والشهامة قوة القلب في الحواس الباطنة

تنبيه قد تقرر من هذا كلهِ ان هذه الآلات ضرورية للواعظ جدًّا وبدونها لا يكون واعظًا اصلاً لكن لاجل فائدة الناس ومساعدة القريب في تخليص نفسهِ ولاجل اتمام نية الله في ذلك لا يمتنع احد عن الوعظ والتعليم ولو نقصتهُ هذه الآلات لانا نجد عند الضرورة من يستعمل الخياطة والنجارة وهو لا يكون خياطًا ونجارًا هكذا

الحال هنا فانهُ يمكن لكل كاهن مزوجاً كان او غير مزوج ان
يعظ ويعلم علانية ولولم يكن حاصلاً على هذه الالات وذلك
رغبة في تخليص نفس القريب المطلوب خلاصها عند الله جداً
والشاهد لهذا موسى النبي الذي كان الثغ اللسان وكان واعظاً على
الوف من الاسرائيليين خر ٤ : ١٠ الان قوة الله تبان من هذه الجهة
اعظم فعلاً واعتباراً لكن اذا كان ذلك الانسان خالياً من آلة
الشجاعة والشهامة فليس لهُ ان يمارس وعظاً وتعليماً عاماً اصلاً
لئلا يسبب من جبانتهِ وعدم حكمتهِ بحساً في السامعين عظيماً
ويسمع من الشعب ما قالهُ الكتاب المقدس يبحسك الرب في
هذا اليوم لانك بحستنا يش ٧ : ٢٥

الفصل التاسع

في التقليد

اخص الصنائع في التقليد صناعة الكتابة فان المعلم يكتب
لتلميذهِ سطراً ويطلب منهُ بان يتقلدهُ في كتابة ذلك السطر وفي
ان كيف يمسك القلم والقرطاس واما التلميذ فيلزمهُ اولاً ان يتامل
بيد معلمهِ وكيف يمسك القلم ويتلاعب بهِ في كتابة كل حرف وان
كيف يبتدي في كتابة هذا وكيف ينتهي في ذاك وكيف يجر الآخر
واذا تامل التلميذ هذا يضع في عقلهِ . ثانياً ان كيف يقلد معلمهُ في
كل شيء تاملهُ من حركاتهِ لانهُ بهذا التامل وبهذا التقليد يتعلم

التلميذ الكتابة وياخذ قاعد معلمهِ. هذا نفسهُ جارٍ في تعليم صناعة الوعظ وهذا لازم جدًّا ان كنت تريد ان تكون واعظًا مستقيمًا لان الرسول يقول لا ينال احد الاكليل ان لم يجاهد على السنة ٢تي ٢:٥ وليست السنة هنا الا ان تقلد الواعظ الماهر لتكتسب منهُ قاعدة الوعظ فاذا اكتسبتها تكون واعظًا ماهرًا على موجب سنة الوعظ وقواعدهِ فتصير حينئذٍ رجل الله كاملاً مستعدًّا لكل عمل صالح اي فتكون واعظًا لله حقيقيًّا مستعدًّا لكل فن من فنون الوعظ المفيد. ان الذي يرغب في صناعة التصوير نراهُ لا يكتفي بما يعرفهُ بل لا يزال مفتشًا على اشكال صور مختلفة ليقلد ما كان الاحسن فيها فتراهُ ياخذ من هذه حركات لحميتها ومن الاخرى تجعيد اثوابها ومن الاخرى صناعة اخرى لازمة لهُ في محلها وقد تراهُ احيانًا ياخذ رسمًا لصناعتهِ من تقطيع الغيوم ومن رش الماء على الارض او على الحيطان وما يشاكل ذلك ومرادهُ بهذا كلهِ زيادة المعرفة في صناعتهِ. هذا نفسهُ يلزمك يا ايها الواعظ ان تطلبهُ وتقلدهُ ان اردت كمالك في صناعتك واياك من ان تكون مكتفيًا بذاتك وآلاتك وتقول كما قال ذاك الغني انني غنيٌّ واكثرت ولا احتاج الى احد رؤ ٣ : ١٧ فانهُ من هنا يظهر جهلك وعدم افرازك وحكمتك وتسمع حينئذٍ ما قالهُ الله الذاك لست تعلم انك ضعيف شقي وانك فقير واعمى وعريان رؤ ٣:١٧ قد ذكر الله خمس صفات وكلها تحثك على ان تطلب العلم من

اهلهِ ولا تكتفي بذاتك لا سيما اذا سمعت ان ربّ المجد كان جالسًا
في وسط العلماء يسمع منهم ويسالهم فانهُ بهذا يطلب منا ان نصغى
الى صوت التعليم ونسال عما هو الضروري لفائدتنا فاقصد اذًا
احذق الواعظين واسالهم واسمع منهم واعمل بما يقولونهُ لك وقلدهم
في قواعد صناعتهم واسمع من الواعظ الحقيقي رئيس الواعظين
القائل لك انني اشير عليك ان تشتري مني ذهبًا محميًا بالنار
رؤ ٣ : ١٨ اي قواعد وعظ مختبرة مجربة ممتحنة حتى اذا امتلكتها
مني بالنظر والسوال والتقليد تصير غنيًا بالوعظ وتلبس قواعدهُ
بمنزلة ثياب بيض برونق حسن الصناعة ولا تظهر خزي عري جهلك
وكحل عين بصيرتك بذرور السوال والتقليد لتبصر حينئذٍ دقائق
صناعة الوعظ وحركاتهِ وهذا المعنى نفسهُ قد تقدمنا فذكرناهُ في الفصل
السابع من القسم الثاني هنا وهو ان المتعلم صناعة الوعظ يلزمهُ النظر الى
مهارة الواعظين وهم في وعظهم وان يسالهم ويتعلم منهم ما يلزمهُ من هذه
الصناعة ليقلدهم بهِ واخص هذا التعليم وهذا التقليد يكون في آلات
الوعظ الظاهرة ليمكن التوصل الى تعلمها من ظهورها للعيان وهي
ثلثة اولاً حركات الايدي ونحوها فانهُ يلزمك ان تصنع ما يصنعهُ
الصبي في تعلم الكتابة كما تقدمنا فقلنا وهو انك تتامل في حركات
ذلك الواعظ الاستاذ الناظر اليهِ في وعظهِ تاملاً مليًا وانقش في
صفحة مخيلتك ما رايتهُ فيهِ ثم قلدهُ في ذلك فعلاً وان امكنك قلدهُ
وانت وحدك في الخلوات وتحرك بحركاتهِ واشاراتهِ ولفتاتهِ وجولانهِ

بحيث لا يراك احد لئلاّ يرتابوا بعقلك لعدم معرفتهم بمرادك لان هذه من مساعدات التعليم ان الله بعد ان ارى موسى رسم القبة في الجبل امرهُ ان يصنع مثلها بالعمل خر ٣٥ : ٩ هكذا انت فانك من بعد ان رايت متاملاً في حركات ذلك الواعظ يلزمك ان تقلدهُ بالعمل . ثانيًا حركات الصوت اي تامل في حركات صوت ذلك الواعظ وامعن النظر في مواقع صوتهِ وطبقاتهِ في مقتضيات مضامين الكلام المختلف الانحاء لانهُ لكل موقع كلام صوت يخصهُ كما مر واحفظ ما رايتهُ فيهِ من صناعة الصوت حفظًا ماليًا لتقلدهُ بهِ ولكن احذر من ان تخرج في صوتك عن مقتضى طبعهِ الغريزي فيك لتقلد صوتًا اخر طبيعيًا فيهِ كان يقلد الرجل المراة او المراة تقلد الرجل كما يصير في تقليد خيال الازار فان هذا شيء معيب جدًّا يستسمجهُ السامعون ويضحكون منهُ لان الطائر الخارج عن لغتهِ لحان وانما يكفيك ان تقلدهُ في اماكن مواقع طبقات الصوت لا في نجراهُ واما انت فاثبت على مجرى صوتك الطبيعي كما عمل يعقوب اب الاباء فانهُ قلد اخاهُ عيسو في مجس يديهِ لكن لم يقلدهُ في صوتهِ فلهذا اشتبه الامر على اسحق ابيهما حتى كان يقول ان الصوت صوت يعقوب لكن اليدين يدا عيسو تك ٢٧ : ٢٢ ثالثًا حركات عزم الحرارة اي تامل في مواقع حرارة ذلك الواعظ وسكونهِ اي اين يحتد واين يلين وقلدهُ في ذلك كلهِ ان الطبيب ههنا كلهُ مع المريض المحموم في ان يعرف اسباب الحمى وعلاماتها

ليعالجها بما يناسبها في درجاتها ودورها فليكن همك هكذا في حرارة الوعظ لتعرف منهُ متى يكون دورها وماهي درجاتها لتعالجها بالتقليد فان هذا التقليد يساعدك مساعدة كبرى في تعلم صناعة الوعظ ان كنت حريصًا وغيورًا على ذلك وقل مع الرسول وكنت ازداد غيرة في تقليدات آبائي غل ١:١٤ لكن الذي تقلدهُ يلزمهُ ان يكون واعظًا حاذقًا متفننًا في صناعتهِ لانك في هذه الصناعة بمنزلة غصن طريف كيفما عدلتهُ يعتدل جيدًا كان ام رديًا واجتنب الواعظ البعيد في سيرتهِ المعوجة عن خوف الله كما تقدمنا فقلنا حتى لا تمزج خمر التقليد الممدوح بماء التقليد المنتن كقول النبي خمرك تمازج بالماء اش ١:٢٢ فهذا ولو كان ماهرًا في صناعتهِ لكن سيرتهُ التي تسترقك بالتقليد الذي تسترقهُ منهُ يضر نفسك ويلاشيها كما قال ارميا النبي عيني نهبت نفسي مرا ٣:٥١ اي ان نظرك اليهِ سلب منك ذخيرة نفسك فاهرب منهُ فالعلم بلا عمل كقوس بلا وتر

القسم الرابع

في تاليف الوعظ وفيهِ سبعة فصول

الفصل الاول

في تاليف اجزاء الرذيلة

اذا اردت ان تبني بيتًا يلزم اولاً ان تهيي آلة البنيان وتحفر

اساسات البيت ثم تشرع بعد ذلك في البنيان هكذا الحال هنا فان جميع ما ذكرناهُ من الابتداء الى الان هو تهيؤ آلات الوعظ وحفر اساساتهِ ولما اتممنا كل شيء من لوازم هذا البنيان بنعمة الله وتاييد الروح القدس وجب علينا من الان فصاعدًا ان نبتدئ في بنيان بيت الوعظ لان هذا هو نتيجة ما قلناهُ ورتبناهُ شيئًا فشيئًا فمن ثم كان بنيان هذا البيت متوقفًا على اربعة اشياء الفاعل وهو الواعظ والمادة وهي تراكيب الوعظ وما ذكرناهُ من الاقسام والفصول المتقدم ذكرها والصورة وهي نفس الوعظ والغاية وهي تخليص النفس المتوقف خلاصها على استئصال الرذيلة واستقناء الفضيلة كما قال المرتل حِد عن الشر واصنع الخير مز ٣٤ : ١٥ وهذا يتم بالوعظ والتعليم فاذا فهمنا هذا نقول ان الواعظ اذا ابتدا في وعظهِ يفتتح كلامهُ بآية من الكتاب المقدس تكون عنوان موضوع وعظهِ والدال عليهِ لا آلة ابتدائهِ سواءٌ كان موضوع وعظهِ رذيلة ام فضيلة فيبتدي اولاً بالمقدمة وهي انهُ ياتي الى هذا الموضوع عن بعد حتى ينتهي اليهِ بالنتيجة لانهُ من شرط المقدمة ان لا تكون نفس التعليم في الموضوع المقصود بل هي كلام يتوصل بهِ الواعظ الى موضوع التعليم الذي يقصدهُ فاذا انتهى اليهِ يعرّفهُ اولاً ويؤيدهُ بالشواهد والبراهين ثم يقسمهُ وينبه على مضمون اقسامهِ اجمالاً كان اقسامهُ فهرس مقالتهِ فاذا انتهى من ذكر الاقسام وفهرسها يقول ولكن قبل الشروع بذلك نطلب التاييد من الروح القدس

ويجوز له ان يعرض عن التصريح بذكر الاقسام مراعاة للسامعين لئلا يضجروا من الابتداء اذا سمعوا بذكر الاقسام ويجعل انقسامها في ذاتهِ سرًّا يوردهُ شيئًا فشيئًا وليعمل ما يراهُ الانسب ولو كان الاول اولى

تمرين الرسم

المقدمة

في الكبرياء

مثال ذلك في الكبرياء قال الرسول ان الله يضاد المتكبرين ا بط ٥:٥ ان العداوة تصغر وتعظم وتخف وتثقل وتهون وتصعب بالنظر الى درجة من تعاديهِ فان عداوة الحاكم اصعب من عداوة الرعية لسمو درجتهِ وعداوة الملك اعظم من عداوة الحكام الذين تحت يدهِ لسمو سلطانهِ العام واذا كان الله عدونا كنا تحت خطر انتقام لا يوصف لسمو سلطانهِ تعالى غير المتناهي فان قلت ما سبب عداوة الله اجبتك هو عدم الخضوع لهُ المسبب من الكبرياء ولهذا قال الرسول ان الله يضاد المتكبرين لكون المتكبر لا يزال يضاد الله بعدم خضوعهِ واتضاعهِ لهُ المسبب عن مخالفتهِ وعصيانهِ وهذا هو معنى الكبرياء وتعريفها ومن هنا نرى ان الله قد اعد لها عذابًا اليمًا كقولهِ تعالى كما مجدت ذاتها كافئوها عذابًا ونوحًا رؤ ١٨:٧ فاذا كان هذا شر الكبرياء يلزمنا الان الكلام فيهِ

ونقسمهُ في ثلثة اقسام القسم الاول في بيان شر الكبرياء القسم الثاني في اثمار الكبرياء القسم الثالث في جهل المتكبر لكن قبل الشروع بذلك نطلب التأييد من الروح القدس

القسم الاول

في بيان شر الكبرياء

قال الحكيم كل مستعلي قلب نجس عند الرب ام ١٦ : ٥ لماذا كان المتكبر نجسًا . اولاً ان الكبرياء لما كانت تبعد الانسان عن الله وتنزع منهُ طهارة التواضع وتجعلهُ لله عدوًّا مضادًّا كانت نجسة عند الرب هي ومرتكبها كما قال الحكيم انتج من هنا انها بمنزلة برص تفسد النفس وتعدمها الخير الابدي وتورثها عقابًا ابديًّا وكما ان البرص ينجس المتعلق بهِ كما جاء في شريعة موسى لا ١٣ : ٤٥ هكذا المتكبر فانهُ نجس لتعلق برص الكبرياء بهِ ثانيًا ان الكبرياء تحقر نعمة الله وبالنتيجة تحتقر الله ولهذا نرى المتكبر يتسهل فعل الخطية انتج من هنا انهُ لا يخاف الله فكانهُ يقول مع فرعون العاتي مَن هو الرب حتى اطيع صوتهُ فاني لا اعرف الرب خر ٥ : ٢ الثالث ان الكبرياء تصيرنا عثرة لغيرنا ومثالاً شريرًا ويهان بسببنا اسم الهنا وايمانهُ المقدس كما قال الرسول مستشهدًا فان اسم الله يُفترَى عليهِ من اجلكم بين الامم رو ٢ : ٢٤ انتج من هنا انهُ لا اشر من المتكبر المفتري على الله وعلى ايمانهِ بكبريائهِ ولهذا كان مستعلي القلب

نجساً عند الرب لان نجاستهُ تدلنا على نجاسة اثمارهِ * وهذا هو القسم الثاني

القسم الثاني

في اثمار الكبرياء

ان الكبرياء تثمر في النفس اولاً زوال شرفها وكرامتها كما ازالت شرف اليهود وكرامة المبتدعين المشاقين هكذا قال النبي بنو صهيون الاشراف اللابسون الذهب حسبوا كآنية من خزف مرا ٤ : ٢ فكما ان الخزف سريع العطب هكذا صارت النفس بكبريائها تكسراً للعالم والشيطان والجسد انتج من هنا ان المتكبر ينطفي منهُ نور النعمة حتى يعود يرى الشر جيداً والجيد شراً والظلمة نوراً والنور ظلمة والمر حلواً والحلو مراً . ثانياً فاذا اظلم عقل الانسان صار يكذب شرائع الله بعملهِ ونفاقهِ ويستزري بقديسيهِ وهذا هو معنى قول السيد من ثمارهم تعرفونهم مت ٧ : ١٦ مجدفين منافقين مفترين على الله وقديسيهِ . ثالثاً ينتج للمتكبرين من هنا عدم الحس فيصيرون في قبضة ابليس حياتهم كلها فيموتون بغير توبة هكذا قال النبي . من اجل ان قلبهُ ارتفع في علوهِ اسلمتهُ بيد اشد الامم ليصنع معهُ حسب نفاقهِ حز ٣١ : ١٠ فمن اين نرى كثرة الهالكين الّا من هذا انتج من هنا ان المتكبر يرضى بهذا الشر الاعظم لانهُ لا يريد ان تستضيء بصيرتهُ بنور المتواضع لينجو من ظلام

الكبرياء لكون ظلام الجهل استولى عليهِ بالكلية ☆ وهذا هو القسم الثالث

القسم الثالث
في جهل المتكبر

ان الكبرياء تسوق الانسان الى جهلٍ فاضح اولاً تجعلهُ راضياً بفقر ذاتهِ من نعمة الله الضرورية في خلاصهِ وانهُ راضٍ بمرض نفسهِ الذي يسوقهُ الى الهلاك الابدي كقول الحكيم حيثما توجد الكبرياء فهناك الهوان ام ١١ : ٢ انتج منهُ ان الجهل يسبب الهوان الابدي . ثانياً ما اكثر الكفار والمبتدعين الذين تابوا من اول نصيحة وما اكثر البهائم التي غيرت خصالها الردية بالتهذيب والمسيحي المتكبر ثابت الى الان على شر كبريائهِ انتج من هنا ليس المانع الا برقع الجهل الممدود على بصيرتهِ فلا يدعهُ يرى الحق ليهتدي فكانهُ من قوم موسى الغلاظ الرقاب الذين كانوا يسمعون الناموس ولا يفهمونهُ هكذا يقول الرسول حتى الان كلما قُرِىء عليهم كتاب موسى فالبرقع موضوع على قلوبهم ٢ كو ٣ : ١٥ . ثالثاً فلهذا كان جهلك غير معذور لانك بنعمة الله قادر على الخلاص ان اردت لان لك اسباباً كثيرة تسهل لك الخلاص الذي انت ملتزم بهِ اذا طرحت مانع الكبرياء وجهلها هكذا قال يسوع للفريسيين لو كنتم عمياناً لم تكن لكم خطية لكن لانكم تقولون اننا نبصر فخطيتكم

ثابتة يو ٩ : ٤١ انتج من هنا انك لا تريد فلهذا لا تخلص فاهرب
يا اخي من شر الكبرياء التي تمنعك عن الخلاص ملتجئاً تحت ستر
التواضع الذي يخلصك اولاً بواسطة تاملك في تواضع يسوع
والقديسين ثانياً تامل شقاوة ذاتك الصادرة من شر الكبرياء .
ثالثاً تذكَّر الموت الذي لا بد لك منهُ فهو يريك ان كل مستعلي
القلب نجس عند الرب

الفصل الثاني

في تاليف اجزاء الفضيلة

تمرين الرسم

المقدمة

في التواضع

قال السيد المسيح تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب مت ١١ : ٢٩ ان الذي يرغب في علم من العلوم لا يكتفي عن مطالعة كتب ذلك العلم ولا من الدخول الى مدارسهِ ومعاشرة اهلهِ لكي يكون متمكناً في ذلك الفن واذا بلغهُ خبر احد انهُ متعمق فيهِ جداً يقصدهُ دون غيرهِ ويتتلمذ لهُ خاصة و يبالغ في خدمة ذلك العالم ليستفيد منهُ ذلك العلم و بمقدار عظم قدر ذلك العالم ونفع ذلك العلم يكون مقدار اجتهاد ذلك التلميذ على خدمة ذلك العالم والتماس ذلك العلم فاذا كان هذا استحقاق العلوم الارضية فما

ظنك في العلوم السماوية وان كان هذا اعتبار العلماء الارضيين فما ظنك في العلماء السماويين فان قلت ما هذا العلم ومنو هذا العالم اجبتك يسوع ابن الله القائل تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب فعلمهُ اذاً هذا التواضع السماوي فتعالَ الى مدرسة يسوع ونعلم منهُ حكمة التواضع الذي هو مجموع كل حكمة كقول الحكيم حيث التواضع فهناك الحكمة ام ١١ : ٢ لان التواضع ليس هو الاَّ التشبُّه بسيرة يسوع الذي بهِ خلصنا فكما ان يسوع لم يخلصنا الاَّ بالتواضع هكذا نحن تلاميذهُ فاننا لا نخلص الاَّ بالتواضع ولهذا يقول تعلموا مني الخ فان كان التواضع هكذا ضرورياً لنا فقد وجب الان علينا ان نتكلم فيهِ وهو موضوع كلامنا ونقسمهُ الى ثلثة اقسام القسم الاول في التزامنا باقتناء التواضع القسم الثاني في ضرورة الاتضاع القسم الثالث في ان الكمال يقتضي اقتناء الاتضاع لكن قبل الشروع بذلك نطلب التأييد من الروح القدس

القسم الاول

في التزامنا باقتناء الاتضاع

قال المرتل . القلب المتخشع المتواضع ما يرذلهُ الله مز ٥١ : ٨ . كما ان الكبرياء ينبوع كل رذيلة على ما قال الحكيم ابن سيراخ ١٠ : ١٥ هكذا التواضع فانهُ اصل كل فضيلة على ما قال القديسون فمن هنا كنا ملتزمين باقتناء الاتضاع اولاً لان الله يطلبها منا

بقوله ان لم تكونوا كالاطفال فلا تدخلوا ملكوت السموات مت ١٨ : ٢ ولهذا اعطانا اسبابًا كثيرة في اقتنائها وايدنا بروحهِ القدوس حتى اذا امتلكناها يهبنا خير المتواضعين . ثانيًا ان كنت قد اقتنيت التواضع فاحرص عليهِ فان اضعتهُ بكبريائك كنت قد اهنت يسوع الذي اقتناك هذه الفضيلة بسفك دمهِ كقول النبي وبجراحهِ شفينا اش ٥٤ : ٥ اي من كبريائنا ثالثًا يلزمنا اقتناء التواضع لاننا بهِ نقتني كل فضيلة ونقهر الكبرياء التي هي اساس كل رذيلة وبهِ نتشرف بالشرف الذي حازهُ المتواضعون فلم نرذل لان القلب المتخشع المتواضع ما يرذلهُ الله انتج من هنا ان المسيحي يلزمهُ اقتناء الاتضاع لانهُ ضروري لخلاصهِ * وهذا هو القسم الثاني

القسم الثاني

في ضرورة اقتناء التواضع

ان اقتناء التواضع ضروري لنا جدًا لاننا بهِ نقتني من غيرهِ الفضائل التي بها نشبه القديسين لكونك ترى المتضع ممدوحًا من الله ومن الجميع كقول مريم العذراء لانهُ نظر الى تواضع امتهِ فمن الان يعطيني الطوبى جميع الاجيال لو ١ : ٤٨ ثانيًا لان التواضع فضيلة تهون علينا اتعابنا وتريحنا من تكاليف كثيرة وتخفف اثقال النفس والجسد فنجد عند الموت امنًا وافرًا وهذا كلهُ انما نقتنيهِ بحكمة

الاتضاع كقول الحكيم حيث التواضع فهناك الحكمة امثال ١١: ٢
فكيف لا يكون التواضع ضروريًا لنا وهذه فائدتهُ. ثالثًا لان
التواضع لما كان مرضيًا لله وللملائكة وللبشر كان اقتناؤُهُ ضروريًا
لنا لاننا ملتزمون بارضاء الله ضرورية ومن يرضي الله لا يرذلهُ
الله هكذا قال المرتل القلب المتخشع المتواضع ما يرذلهُ الله . انتج
من هنا اذا اردت أن تكون كاملًا مثل ابيك السماوي الكامل
فاقتنِ الاتضاع * وهذا هو القسم الثالث

القسم الثالث

في ان الكمال يقتضي اقتناء الاتضاع

الخلائق الحساسة وغير الحساسة يلزمها الكمال في طبعها فكم
بالحري يلزم الانسان الذي هو اعقلها بان يكون كاملًا في طبعهِ
فمن هنا كان اقتناء الاتضاع يلزمنا لنكون كاملين فان كانت
الحكمة كما يقول الحكيم تفتح افواه الصم وتجعل السن الاطفال
فصيحة حكمة . ١٠: ٢١ فكم بالحري تفعلهُ الفضيلة اذا كنا بها كاملين .
ثانيًا ان كان الكفار تهذبوا بنور العقل والبهائم تروضت بالتعليم
والتمرين فكم اولى بك يا ايها المسيحي ان تكون كاملًا باقتناء الفضيلة
بواسطة نور العقل والايمان معًا وانت مدرب في ذلك كما قال
الرسول انني اقدر ان اتواضع واقدر ايضًا ان ازداد لانني مدرب
في كل مكان وفي كل شيء وانا اقوى على كل شيء بذلك الذي

يقويني في ٤: ١٣ اي بتابيد الايمان بيسوع المسيح. ثالثًا ان كنا نكد
ونتعب ونخاطر في تحصيل امور باطلة لنكون فيها كاملين فما لنا لا
نجاهد في اقتناء التواضع لنكمل بهِ مع ثمرتهِ حيوة ابدية انتج من
هنا ان كنا نجد على اكمال نقص الجسد يلزمنا ان نجد اكثر على
اكمال نقص الروح فانت اذًا ملتزم باقتناء التواضع بهذه الوسائط
الثلث . اولاً من سيرة يسوع والقديسين. ثانيًا من تعليم يسوع
والقديسين . ثالثًا من قهر الذات واماتة النفس فاستند على هذه
الدعائم الثلث نصر كاملاً هكذا قالت الحكمة الالهية من هذه
الصاعدة من القفر مدللة مستندة على حبيبها نش ٨: ٥ اصعد من
قفر كبريائك مستندًا على هذه الثلث فتقتني كمال الاتضاع فيقتبلك
يسوع حبيبك لان القلب المتخشع المتواضع ما يرذلهُ الله * اعلم انني
وضعت لك هذين الرسمين وضعًا مختصرًا في تاليف الوعظ بمنزلة
دستور ترسم على شكلهِ اشكال صورة وعظك في كل موضوع تقصده
وتوسّع فيهِ حسب مكنتك ولك ان تقدم وتوخر وتزيد وتنقص
وتبدل شيئًا من شيء حسب جولانك واتساع قريحتك في هذه
الصناعة . ان العروضيين وضعوا للشعر موازين تزن عليها الشعراء
اشعارهم بمقتضى رايهم وفهمهم هكذا زِن انت بميزان هذا الدستور
ما تنظمهُ من المواعظ بمقتضى رايك وفهمك

الفصل الثالث

في طريقة اخرى في تاليف الوعظ

توجد طريقة اخرى مختصرة في تاليف الوعظ وهي اذا شئت ان تنشئ مثلاً وعظاً في فضيلة ام رذيلة ام في عيب ما فاجعل براعة الاستهلال اية مناسبة لموضوعك من الكتاب المقدس ثم ابتدئ في ذم الرذيلة وامدح الفضيلة واثبتها بالشواهد والبراهين ثم خذ في تقسيم ذلك الموضوع الذي انت فيهِ واشرع اولاً في تعريف الفضيلة او الرذيلة وبينها من علاماتها واثبت ذلك كلهُ بالشواهد ولا تخرج حتى تكون قد اسستهُ في عقول السامعين وفهموهُ فهماً جيداً ثانياً اورد اسباباً وادلة مقنعة في طلب تلك الفضيلة او تجنب تلك الرذيلة بالشواهد والبراهين ووبخ هنا توبيخاً ملائماً في ذلك لتتحرك قلوب السامعين اليهِ لان هذا هو الضروري لنا. ثالثاً اورد الوسائط الموصلة الى امتلاك الفضيلة او الادوية المانعة حصول الرذيلة حسبما يقتضيهِ الترتيب الطبيعي لانك اذا ادركت معرفة الداء من اسبابهِ وعلاماتهِ لزمك بعد ذلك ان تقدم لهُ الدواء المناسب في علاجهِ لشفائهِ وهذه طريقة سهلة في الوعظ جداً ممكنة لكل احد واكثر الواعظين اليوم مكبون على استعمالها

الفصل الرابع

في طريقة اخرى في تاليف الوعظ على ترتيب الصلوة العقلية

ان غاية الوعظ والصلوة العقلية واحدة وهي استئصال الرذيلة واستقناء الفضيلة كما تقدمنا فقلنا في آخر الفصل الثاني من القسم التاسع فاذا اردت ترتيب موعظتك على ترتيب الصلوة العقلية فابنِ المقدمة فيها على هذه الاركان الاربعة اللازمة لهذا الترتيب الركن الاول العلة الفاعلية الركن الثاني العلة المادية الركن الثالث العلة الصورية الركن الرابع العلة الغائية ثم اختم الغاية بالنتيجة التي تبني عليها كلامك مثال ذلك في الكبرياء العلة الفاعلية هي القوة الغضبية المحركة في الانسان باختيارهِ نحو التسامي والتظاهر. العلة المادية هي شهوة الارتفاع والتشامخ بالاشياء العقلية كالعلم والفضل او بالاشياء الحسية كالقدرة والغنى والجاه. العلة الصورية هي ابراز هذه الشهوة الى الفعل بحركات عقلية متحركة بحركات حسية. العلة الغائية هي التشامخ على الغير فيكون المتكبر في وهمهِ انهُ الاعلى وغيرهُ الادنى ويلزمك ان توضح ايضاحًا مختصرًا معاني هذه العلل الاربع في اقسام التامل الثلثة التي هي الاعتبار والعاطفة والقصد وللاعتبار ثلثة اركان الاول ايضاح شر الكبرياء وبيان حالاتها ومضراتها وبيان اسبابها وعلاماتها وما يتفرع منها. الثاني ان تري السامعين حقائق ما اوضحتهُ لهم من شر الكبرياء واساهم من

تصرفهم بها واجب عما تسالهم عنهُ. الثالث ان توبخ السامعين لانهم تصرفوا بالكبرياء واثبت ذلك كلهُ بالشواهد والبراهين والامثلة ووبخ عنهُ توبيخًا ملائمًا. والعاطفة تحريك قلوب السامعين نحو بغض الكبرياء وحب التواضع نظرًا الى مضرة تلك وفائدة هذه فهي اذا بمنزلة النتيجة من الاعتبار. والقصد حث السامعين ان يثبتوا على ما قصدوهُ من الغاية التي اقتنوها من الاعتبار والعاطفة وان يقصدوا السلوك في طريق اكتساب التواضع ورذل الكبرياء واجعل الخاتمة الدواء المناسب لذلك واثبت هذه كلها بالشواهد والبراهين والامثلة

الفصل الخامس

في طريقة اخرى في تاليف الوعظ في عيد احد القديسين

اجعل براعة الاستهلال آية من الكتاب المقدس تناسب الفضيلة التي تريد ان تخصها بذلك القديس ثم اذكر اولاً سيرتهُ باختصار وادرج فيها مديحهُ واجعل فضيلتهُ نتيجة وعظك وهذه هي المقدمة ثم صفهُ بعد انتهائك من المقدمة بهذه الاوصاف الثلاثة اولاً اعترافهُ بالحق الذي اعترف بهِ الآباء والانبياء والرسل والشهداء والمعترفون واورد هنا الدلائل لذلك واسس هذا الاعتراف على فضيلة ذلك القديس الذي خصصتهُ بها وانتج من هنا توبيخ السامعين لانهم لم يقتدوا بهِ. ثانيًا الغيرة اي صف غيرة ذلك

القديس من فضيلتهِ وحث السامعين الى مثل هذه الغيرة . ثالثًا الشجاعة اي بين شجاعة ذلك القديس من فضيلتهِ واقرنها بجبانة السامعين وحرك قلوبهم نحوا الشجاعة ليقتنوا تلك الفضيلة بواسطة الشواهد والبراهين والامثلة ثم صف لهم الدواء المناسب في اقتناء تلك الفضيلة واذا كان الوعظ في سر من اسرار التجسد فاجعل براعة الاستهلال نص كلام ذلك السر واذكر في المقدمة ثلثة اشياء اولاً محبة الله لنا في ذلك السر ثانيًا ضرورة وجود ذلك السر ثالثًا فعل الله في ذلك السر من اجل خلاصنا ثم انتخ فضيلة مناسبة لهُ وابنِ اقسام وعظك على تلك الفضيلة ورتبها الترتيب المقدم ذكرهُ وان امكنك فابنِ الموعظة كلها على معنى ذلك السر او على مدح ذلك القديس وضمن فيها معاني الفضيلة او الرذيلة التي قصدت بيانها وهذه طريقة حسنة جدًا وهي الاكمل الّا انها شاقة في التاليف والخطاب وعدة الفهم عند السامعين ويلزمها زيادة ايضاح و بيان وتكليف في صناعة الوعظ

تنبيه يلزمك في تاليف وعظك على اي اسلوب اردتهُ ان تراعي براعة الاستهلال وبراعة التخلص وبراعة الختام كما مر معنا ذكرهُ واثبت كلما توردهُ بالشواهد والبراهين والامثال

الفصل السادس

في ظروف الحدوث

اعلم ان ظروف الحدوث ستة وهي من ومتى واين وماذا ولماذا وكيف . وسميت ظروفًا لانها تتضمن كل حادث يحدث من فكر وقول وفعل في كل مكان وزمان فلا يخلو عنها شيء ما اصلًا ولهذا كانت تساعد الواعظ مساعدة كبرى في وعظهِ اذا ضمن منها كلًا او بعضًا في كلامهِ وتطبع المعاني في عقول السامعين طبعًا موثرًا واكثرما يستعملها حذاق الواعظين ولها الرتبة الثانية من الشواهد والدلائل لانها تعصم ذهن الواعظ من الغلط ومخيلتهُ من النسيان ولا يشرد منهُ اذا كان منتبهًا اليها مثال ذلك في الكبرياء من المتكبر . انسان ضعيف مخلوق من التراب متى يتكبر لما يعتد بقوتهِ او بعقلهِ او بغناهُ او بآلاتهِ وما يشاكل ذلك ولهذا يفضل ذاتهُ على غيرهِ اين يتكبر في هذا العالم الناقص المملوء ذلًا ونقصًا ومشقات حيث فيهِ كلما يضاد المتكبرين بماذا يتكبر بالضعف والنقص اللذين هما في كل ما يفعلهُ ويظنهُ كمالًا في ذاتهِ لماذا يتكبر ليمجد ذاتهُ اذ يرفعها على من هو اعلى منهُ او على من هو مساويهِ او على من هو دونهُ كيف يتكبر يحتقر الله ويرذل وصاياهُ فيخطي ويحقر القريب فيترفع عليهِ فيهينهُ وقس على هذا المثال استعمال كل فضيلة ورذيلة توردها في وعظك ولك ان

ا

نقدم ونوخر فيها وان تستعمل بعضاً ونترك بعضاً وترد في كل مكان تريدهُ من الموعظة واخصهُ مكان التوبيخ ولك ان تضع لفظة ما في الامور الحسية نحو ما الفرس وما اورشليم وفي الاشياء المعنوية مثل ما الكبرياء وما الاتضاع لان من تختص بمن يعقل وما بما لا يعقل غالباً

الفصل السابع

في الدلائل الطبيعية

ان المعلم شيشرون امام ايمة الفصاحة عند اللاتينيين قسم الدلائل الطبيعية الى ستة عشر نوعاً فقال الاول الحد وهو ما بين حقيقة الشي ويميزهُ عن غيرهِ كالموت مثلاً فانهُ سلب الحيوة والاشياء الموجودة. الثاني الكلام الجامع وهو اختلاف ما يلزم النوع على افرادهِ كقولك ان كان الانسان يموت فانت تموت . الثالث المشاكلة وهي اطلاق المشتق منهُ على المشتق كقولك ان كنت ابن ادم المائت فلا بد لك من الموت. الرابع التشبيه وهو اطلاق ما يخص الشبهُ على المشبه بهِ كقولك ان اصحابك قد ماتوا وانت تموت مثلهم . الخامس الجنس وهو اطلاق ما يخص الجنس على بعض انواعهِ كقولك ان الانسان ميت طبعاً حين اخطأ لانهُ مركب ولا بد لكل مركب من التلاشي السادس النوع وهو كلما يصدق على النوع يصدق على افرادهِ كقولك انك من نوع البشر

والبشر تراب فانت اذًا تراب مثل نوعك . السابع مراعاة النظير وهو ما يصح في شيء يصح في شيء آخر بالمناسبة كقولك اذا رايت غيرك يموت وهو يستغيث فاستغث انت من قبل ان يوافيك الموت . الثامن المقابلة وهي الاختلاف الواقع في المقابلات التي ينافي بعضها بعضًا كالفرق بين موت الصالحين والطالحين . التاسع التضادّ وهو ان ينافي الشيء ضدّهُ كان الذي تحاربهُ عند موتهِ جهنم وشقاوتها ويضادهُ تركهُ قنيتهُ وانسباؤهُ . العاشر الظروف وهو المكان والزمان والنوع والهيئة كتذكر الانسان عند موتهِ وطنهُ وعمرهُ ومبداهُ ومنتهاهُ واين يكون بعد الموت . الحادي عشر الاطراد المتقدم وهو اتباع السابق باللاحق قبلًا كتذكر الانسان الملوك والجبابرة الذين ماتوا قبلهُ واحدًا بعد اخر . الثاني عشر الاطراد المتاخر وهو اتباع اللاحق بالسابق كتذكر الانسان الذين يموتون من بعدهِ جيلًا بعد جيل . الثالث عشر المساواة وهي المساواة بين المتخالفين بالطبع كقولك ان البشر والبهائم متساوون بالموت وكلهم الى تراب الارض يرجعون . الرابع عشر الاتباع وهو وجود العلة عند وجود المعلول كالانسان الذي لما خالف الوصية حكم عليهِ بالموت . الخامس عشر التوليد وهو حصول العلة من المعلول كحصول الموت من المخالفة . السادس عشر المذهب الكلامي وهو مناسبة الاكبر الى الاصغر والجزء الى ميلهِ كقولك ان كان قد مات الانبياء والرسل والقديسون حتى المسيح فمن

انت حتى لا تموت وهكذا اصنع في كل موضوع تريدهُ اذا كان مناسبًا لوعظك ولك ان تقدم وتوخر في هذه الانواع حسب اقتضاء الحال وان تختار منها بعضها وتترك بعضًا وان تاخذ منها ما يناسب وعظك

تنبيه* يلزمك في ترتيب الدلائل ان تضع الدليل القوي اولاً ثم الضعيف ثم الاقوى فقل مثلاً مات الآباء والانبياء والرسل مات الملوك والامراء والاغنياء وما لي اقول فلانًا وفلانًا هاهوذا المسيح كلمة الله المتجسد نفسهُ قد مات وقل ايضًا ان الخطية اهلكت القياصرة والملوك والجبابرة وما لي اذكر مثل هولاء وقد نراها اسقطت الملائكة من السماء

الخاتمة

في كيفية سماع الوعظ

ان السيد لهُ المجد مثّل لنا سماع الوعظ المقدس بمثل الزارع وبينهُ لنا في اربعة انواع فقال ان منهُ ما وقع في الطريق فانداس ومنهُ ما وقع على الصخرة فيبس ومنهُ ما وقع بين الشوك فاختنق ومنهُ ما وقع في الارض الجيدة فاثمر لو ٨: ٥ فهذه انواع سامعي الوعظ ومنهُ فهمنا ان السامعين كثيرون لكن المستفيدين قليلون والفرق بينهما كالفرق بين المدعوين والمنتخبين وقد فسر لنا السيد معاني هذه الانواع الاربعة النوع الاول ما وقع في الطريق فانداس

يشير بهذا الى الذين يسمعون الوعظ بقلوب فاترة يتشاغلون بالاحاديث او بالافكار الدنيوية وقوم منهم يقفون متضجرين واخرون يتناعسون بل ينامون ويستغرقون في نوم ثقيل فترى قلوبهم معبرًا لكل آفة فياتي ابليس فينزع كلمة الوعظ من قلوبهم ويدوسها وقد كان فيها كفاية لتخليصهم لو اصغوا اليها قال القديس اوغسطينوس ان كلمة الله بمنزلة الصنارة تصطاد من يصطادها هكذا انت فاذا اصطدت كلمة الله تصطادك تلك الكلمة من لجة خطاياك ولهذا ينصحنا الرسول قائلاً كونوا فعلة الكلمة لا مستمعيها فقط يع ١ : ٢٢ لانهُ ما الفائدة من سماع الوعظ بغير حفظ وعمل وقد قال الرسول ليس الذين يسمعون الناموس هم العدول عند الله بل الذين يعملون بالناموس فهم يتبررون رو ٢ : ١٣ .

النوع الثاني ما وقع على الصخرة فيبس يشير بهذا الى الذين يسمعون الوعظ بقلوب قاسية متصلبة لا تشعر بمعاني الكلام كانها صخر عديم الحس والتاثير لانهم يقفون في الوعظ متفرجين على الواعظ هل ياتي بمعانٍ رفيعة واخبار غريبة وهل هو صاحب صناعة وبراعة في وعظهِ او لا فمثل هولاء لا يوثر الوعظ في نفوسهم ولا يتاصل فيهم لكونك تراهم بعد سماعهم الوعظ يعودون الى ما كانوا فيهِ من العوائد الرديئة والاعمال السيئة بسبب وبغير سبب لعدم ذوقهم كلام الله الذي لم يستقر فيهم ولو قليلاً . قال القديس غريغوريوس الكبير ان المعدة التي تقذف الماكل تكون مريضة وصاحبها مشرف

على التلف هكذا الذي يسمع الوعظ ولا يثبت في عقلهِ ونفضهِ فانهُ يدلنا على مرض نفسهِ المهلك لانهُ لا يصنع بما قالهُ المرتل اخفيت كلامك في قلبي لكيلا اخطئ اليك مز ٩ ١١:١١ لان القلب اذا كان صخريًا لا يثبت فيهِ روح التعليم المقدس. النوع الثالث ما وقع بين الشوك فاختنق يشير بهذا الى الذين يسمعون الوعظ بقلوب حشوها شوك الاهتمام الباطل والهواجس الشهوانية الدنسة فيكون جسم في الوعظ وعقل في البيت والحانوت جسم في الوعظ وفكر في الاحباب والاصحاب جسم في الوعظ وقلب مكبول في العشق والهوى فلهذا يخنقون كلام الله في مثل هذه الاشواك فلا ياتون بثمرة وما اكثر مثل هولاء السامعين تظنهم من الخارج حملانًا وديعة وهم من داخل ذئاب خاطفة من خارج مسيحيون ومن داخل وثنيون من خارج في البيعة ومن داخل في المسكرات وعلى الموائد ما بين عشراء سفهاء تراهم يميلون طبعًا نحو الباطل ويكرهون كلام الله ولهذا يقول السيد لمثل هولاء من كان من الله يسمع كلام الله ولذلك لستم تسمعون لانكم لستم من الله يو ٨ :٤٧ فليتنبه لهذا المعنى سامعوا الوعظ ليعرفوا هل هم مومنون او كافرون ان هذه العلامة حد جامع مانع وخاصة هذا الحد الجوع الى سماع كلام الله والاَّ فلست بمومن لانك لست بجائع قال القديس يوحنا فم الذهب كما ان الجوع والرغبة في الماكل دليل على صحة المزاج وخلافهُ دليل على مرض الجسم هكذا الجوع الى كلام الله دليل على

صحة النفس فهي اذًا من الله وخلافهُ دليل على مرض النفس فهي
اذًا ليست من الله . النوع الرابع ما وقع في الارض الجيدة فاثمر
يشير بهذا الى الذين يسمعون الوعظ بقلوب جيدة ونية مستقيمة
ورغبة متصلة حيث يخاطبون الوعظ المقدس قائلين مع الحكمة
الالهية اجذبني وراءك نسعى الى نسيم طيبك نش ١ : ٣ يا ايها
الوعظ المركب من طيب كلام الله الذكي برائحة الخلاص فاذا
اردت ان تكون في سماعك الوعظ من حزب هولاء الاتقياء
يلزمك قبل سماع الوعظ ثلثة شروط احدها ان تنسى اشغالك
وتعلقاتك كلها واحسب انك قائم مع موسى في سيناء تسمع كلام
الله ووصاياهُ وناموسهُ وقل مع الرسول انني انسى ما وراءي
وانبسط فيما قدامي في ٣ : ١٣ اي ضع العالم وراءك وتوجه نحو
سماع الوعظ كلام الله برغبة كلية وغير ملتفت الى احد متذكرًا
امراة لوط التي لما التفتت الى ورائها صارت عمود ملح تك ١٩ : ٢٦
بل ناظر نحو الغرض الى اكليل دعوة الله العلوية بيسوع المسيح
التي تسمعها من فم الواعظ والثاني ان تضع على الواعظ صورة المسيح
فكانهُ يخاطبك مع تلاميذه بالفاظ الهية لا بشرية كقول الرسول
ان البشرى التي ابشر بها ليست براي بشري ولا قبلتها وتعلمتها
من انسان لكنها بوحي يسوع المسيح غل ١ : ١١ الثالث ان تطلب
من الروح القدس نعمة خاصة وانارة علوية تفهمك ما تسمعهُ لكي
تحفظهُ . الثاني يلزمك حال سماعك الوعظ ثلثة شروط ايضًا اولاً

ن تصغي بعقلك وفهمك الى ما يقولهُ الواعظ بنية طلب الفائدة
فكانك مريض وانت تصغي الى الطبيب فيما يصفهُ لك من
الدواء لتشفي من دائك كما اصغت اليهود الى وعظ بطرس كما
يقول الكتاب المقدس فلما سمعوا هذه الاقاويل خفقت قلوبهم
وقالوا لبطرس ولسائر الحواريين ماذا نصنع اع ٢ : ٣٧ فقل انت
هكذا وقلبك يخفق من حقائق ما سمعتهُ ماذا اصنع لاخلص لان
حقائق كلام الله اذا فهمت واثرت معانيها في العقل تحرك قلوب
الخاطئين الى التوبة وتحرقها بالندامة هكذا قال التلميذان المنطلقان
الى عمواس وتراءى لهما المسيح في الطريق وكان يخاطبهما في شانهِ
فلما توارى عنهما تنبها اليهِ وقالا ألم تكن قلوبنا محترقة فينا
لو ٢٤ : ٣٢ هكذا فسر القديس ابرونيموس هذه الاية . ثانيًا كن
راغبًا مشتاقًا الى سماع كلام الله كانك جائع وقد اقبلت الى مائدة
غنية بالمآكل اللذيذة فلا يلهيك شيء عن سماع الوعظ كما لا
يلهيك شيء عن تناول القوت واختلط بالجموع التي تركت
ضروريات معاشها وخرجت الى البرية لسماع وعظ يسوع مر ٦ : ٣٥
ثالثًا انسب الى ذاتك كلما يقولهُ الواعظ ويوبخ عنهُ واحسب انك
انت الخاطي وحدك بين السامعين واليك يشير الواعظ في كلما
يقولهُ واياك ان تنسب لاحد شيئًا مما تسمعهُ فكن اذًا في الوعظ
سامعًا مستفيدًا لا قاضيًا مقسمًا هذا لفلان وهذا لفلانة . الثالث
يلزمك بعد سماعك الوعظ ثلثة شروط اخرى . اولاً خذ لك من

الوعظ بعض نتائج واجعلها دواء لشفاء داء اثامك وقل حقًّا ان الله نطق بفم هذا الواعظ بما يناسبني وانا محتاج اليهِ جدًّا . ثانيًا تذاكر مع محبيك واولادك وعيالك بما سمعتهُ من الوعظ وحثهم على سماعهِ لئلَّا تنسى ما سمعتهُ فيفوتك الضروري لخلاص نفسك وتفي عن ذمتك اذا علمت انسباءك ايضًا ما تعلمتهُ من الوعظ . ثالثًا اشكر الله الذي وفقك الى سماع الوعظ الذي هو الآلة الكبرى في خلاص نفسك وحظيت بما لم يحظَ بهِ الاكثرون بالنعمة الخاصة وصلِّ من اجل ارتفاع شان الكنيسة المقدسة الجامعة فاذا سمعت الوعظ على هذا الاسلوب وهذا الترتيب تكون ارضًا جيدة قابلة بذار التعاليم الروحية وتاتي بثمرة فيصنع البعض مئة والبعض ستين والبعض ثلثين .

والى هنا انتهى ما فتح الله بهِ علينا من بيان
موضوع صناعة الوعظ المقدس
ونرجو بهِ حسن الخاتمة بهذه
الخاتمه بمنهِ وكرمهِ
آمين

فهرس

القسم الثالث

في الات الواعظ وفيهِ تسعة فصول

القسم الثاني

القسم الثالث

Kitāb fa□l al-□hi□āb fī-'l-wa□□

Far□āt, □irmānūs

Bairūt, 1873

urn:nbn:de:hbz:5:1-14894